بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الماء في آيات القرآن الكريم

إعداد الطالبة

فاطمة محمد عايد عبيدية

اشراف الدكتور

محمد حافظ الشريدة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2003م

الـماء في آيات القرآن الكريم

اعداد الطالبة

فاطمة محمد عايد عبيدية

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2/16 /2004م وأجيزت

أعضاء اللجنة		التوقيع
دكتور: محمد حافظ الشريدة		مشرف ____________
دكتور: محسن الخالدي		ممتحن داخلي ____________
دكتور: موسى إسماعيل البسيط		ممتحن خارجي ____________

الإهداء

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1].

* إلى أرواح شهداء فلسطين الذين رووا الأرض بدمائهم الزكية.
* إلى والديّ الكريمين.
* إلى زوجي العزيز الذي كابد معي عناء البحث.
* إلى أولادي الصغار: قتيبة، مريم، محمد، وحمزة.
* إلى كل غيور على حبّة رمل، أو قطرة ماء من الأرض المباركة فلسطين.

إليهم جميعاً أهدي هذه الرسالة،،،

الباحثة: فاطمة محمد عبيدية

1 سورة الأنبياء، الآية 30 .

الشكر

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[1].

أتقدم بالشكر الجزيل، والعرفان بالجميل، للدكتور الطيب د. **محمد** الشريدة، الذي أولاني كل رعاية وإرشاد ونصح، فجزاه الله كل خير.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لجامعة النجاح الوطنية، وكلية الشريعة خاصة، ممثلة بعميدها الدكتور ناصر الدين الشاعر حفظه الله ورعاه، والهيئة التدريسية في كلية الدراسات العليا.

كما وأشكر طابع الرسالة الأخ أسامة الزهي حفظه الله.

وأتقدم بالشكر لكل من قدّم لي مساعدة، أو نصح، أو إرشاد، فجزى الله الجميع خير الجزاء.

الباحثة: فاطمة عبيدية

---

[1] **سورة النمل، الآية 19.**

المحتويات

الماء في آيات القرآن الكريم

إعداد الطالبة

فاطمة محمد عايد عبيدية

اشراف الدكتور

محمد حافظ الشريدة

الملخص

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد،،،

فهذه دراسة في التفسير الموضوعي بعنوان: " الماء في آيات القرآن الكريم" لنيل درجة الماجستير، قدمت لقسم أصول الدين في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، وهذا ملخص لما جاء فيها:

[1] التأكيد على أن منشأ المياه من الأرض.

[2] إظهار بعض جوانب وبواعث نزول المطر.

[3] شرح وتوضيح الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن المياه السطحية الجارية والراكدة، والمياه الجوفية بأشكالها وصورها.

[4] توضيح آيات البحار، وإظهار عظمة الخالق بالإعجاز العلمي للآيات التي تتحدث عن البحر.

[5] بيان فوائد المياه من إحياء للأرض والإنسان وسائر المخلوقات.

[6] إظهار دور المياه في الطبيعة، والإعجاز العلمي لآيات الجبال وتاوينها بالماء.

[7] شرح معنى التمكين بالماء، من خلال عرض الآيات التي تناولت التمكين الحضاري والتمكين بالنصر، وذكر قصة نبي ا نوح، ثم قصة نبي ا موسى عليهما السلام.

[8] بيان الآيات التي تتحدث عن الأحكام الشرعية الخاصة بالماء مـن وضـوء واغتسـال وغيرها.

مقدمة

الحمد الذي جعل من الماء كل شيء حي، والحمد الذي أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع ليطهر به البلاد والعباد، والحمد الذي ينزل الماء على التربة فتهتز وتُخرج الخيرات، والحمد الذي صب الماء صباً وجعله دافقاً، وجعله مباركاً، والصلاة والسلام على من نبعت المياه من بين أصابعه، ونسألك اللهم شربة من حوضه الشريف يوم القيامة، يوم ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء فيحرموا ذلك، وارض اللهم على من قلت فيهم: *يحِبّون أن يتَطهروا*[1]. واجمعنا اللهم وإياهم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

القرآن الكريم معجزة سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم، نزل للبشر عامة عرباً وعجماً، حتى يكون الدليل على صدق نبوة محمد صلى ا عليه وسلم إلى يوم القيامة. وهو معجز ليس فقط في بيانه، وإنما له وجوه أخرى من الإعجاز، ففي كل وقت يبهرنا بأمور جديدة، لأن ا كرم بني آدم بالعقل كأحد النِعم عليهم، وأمرهم بالتفكر والتدبر ليؤمنوا ومن ثم يزدادوا إيماناً إذا هم أعملوا هذه النعمة.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2].

فالماء نعمة عظمى وهِبة كُبرى، هو سر الحياة وأساس البقاء، ويعد الماء من أهم المصادر الطبيعية على كوكب الأرض.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[3].

وقال أيضا: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[4].

---

1 سورة التوبة، الآية 108 .
2 سورة محمد، الآية 24 .
3 سورة الأنبياء، الآية 30 .
4 سورة النور، الآية 45 .

لأنه يشكل ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية، ولأهمية الماء لجميع المخلوقات، وخاصة الإنسان الذي لا غنى له عنه في جميع أموره الحياتية، وهذه النعمة ورد ذكرهـا فـي القـرآن الكريم بعشرات الآيات، مع دعوة ا لنا بالتفكّـر في هذه الآيات الكونية، واستشعار رحمة ا بعباده إذ سخّـر لهم هذا الكون وأرشدهم إلى سلوك السبيل القويم حتى لا يبقى لهم حجّـة يوم القيامة يحاجّـون بها.

ونجد الآيات الكريمة قد تناولت الموضوع بشكل كبير تعرض فيه كافة صور وأشـكال ومسميات الماء من مطر نازل من السماء، وعيون وأنهار وبحار موجودة على الأرض، وأودية وسحاب وبرد وغيوم وغير ذلك.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

[1] تأتي أهمية هذا البحث كما قلت لاهتمام القرآن الكريم فيه، مما يستدعي كل باحث النظر في هذه الآيات وخدمة هذا الموضوع.

[2] لأن الماء عصب الحياة ولا حياة مع فقدانه، وبنقصانه تختلّ الموازين.

[3] تصاعد حِدة الصراع في المنطقة على الماء، والاهتمام الدولي والمؤتمرات والتوصيات بخصوص الماء.

[4] كثرة الإجراءات الإسرائيلية الصهيونية في الفترة الأخيرة للسيطرة على الماء، وإتلاف مصادره في الضفة الغربية وقطاع غزة.

[5] تنوع الأشكال والصور التي تتحدث عن الماء في القرآن الكريم، مع كثير من اللفتـات الإيمانية المرتبطة بالماء.

[6] لإثراء المكتبة الإسلامية ببحث جديد عن الماء يتناوله من ناحية تفسيرية وليس فقط من ناحية اقتصادية أو سياسية، كما هو الحال مع الكتب الموجودة عن الماء.

أهداف البحث:

[1] جمع الآيات الموجودة في القرآن الكريم التي تتحدث عن الماء.

[2] تفسير الآيات تفسيراً موضوعياً.

[3] توضيح الجانب الحقيقي للصراع في الوقت الراهن، والذي من أهم أسبابه الصراع على الماء.

الجهود السابقة:

هذا وقد كـُتِبت في هذا الموضوع مؤلفات كثيرة، ولكن أغلبها سياسية أو اقتصادية، أو علوم بحتة، مثل علوم البيئة أو علم الجغرافيا. أما من ناحية تفسيرية فقد كـُتِبت بعض المقالات في الصحف لكثير من الدعاة، ومن الكتب التي اطلعت عليها:

[1] علوم مصادر المياه وهندستها في القرآن الكريم، سيد حسني، 1999 .

[2] قانون المياه في الإسلام: للمهندس عبد العزيز محمود المصري، دار الفكر، 1999م.

[2] المياه في القرآن منهاج تفسير الإشارات، أحمد عامر الدليمي، بيروت، طبعة 2000 .

[4] الماء في الأرض: دراسات قرآنية للمهندس أحمد عامر الدليمي، دار الفكر،2000م.

[5] أوراق عمل المؤتمر الدولي حول: دور الإسلام في حفظ البيئة وحمايتها، جامعة النجاح الوطنية، مركز الدراسات المائية والبيئة، 1997 م.

وقد احتوت كتب الإعجاز العلمي على شرح بعض الآيات المتعلقة بالماء، ولكـن مـن غير شمولية لجميع الآيات والموضوعات التي تتعلـّق بالماء في القرآن الكريم.

منهجي في البحث:

[1] ذكر الآيات وتخريجها، مع إثبات ذلك في الحاشية، كل آية في موضعها.

[2] شرح الآية لغوياً وشرح المعاني والمفردات الغريبة.

[3] محاولة تفسير الآية تفسيراً موضوعياً ما استطعت إلى ذلك سبيلا، معتمدة على أهم كتب التفسير المتوفرة لي.

[4] اعتمدت على الروايات الصحيحة واستبعدت الضعيفة منها.

[5] استعنت بالأحاديث النبوية الشريفة لتوضيح المقصود كلما احتاج الأمر.

[6] رجعت في كل علم من العلوم إلى كتب أهل الاختصاص فيه، مثل كتب البيئة والجغرافيا والطب عند الحاجة، لإظهار المعنى الأوسع والأشمل للآية أو لإبراز الجانب العلمي الإعجازي للآية.

[7] عنونت في داخل الرسالة للمباحث والمطالب التي تحتاج إلى عنوان.

[8] تركت الكلمات الخاصة بي من غير إشارة الاقتباس لتمييزها عن أقوال العلماء.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على: مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة فتشتمل على أهمية هذا الموضوع وخطته وأسباب اختياره.

وأما التمهيد فيشتمل على:

[1] تعريف الماء.

[2] خواص الماء.

[3] الصراع على الماء.

- **الفصل الأول:**

يقسم إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: منشأ المياه.

المبحث الثاني: كيفية تكون المطر.

المبحث الثالث: بعض دواعي نزول المطر وموانعه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستغفار.

المطلب الثاني: الإيمان والتقوى.

المطلب الثالث: الزكاة والمخلوفات.

المبحث الرابع: الماء في العقيدة والفقه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الماء في العقيدةالإسلامية.

المطلب الثاني: الماء من ناحية فقهية.

- **الفصل الثاني:**

تحدثت فيه عن أنواع المياه، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المياه السطحية:

المطلب الأول: المياه السطحية الخارجية.

المطلب الثاني: المياه السطحية الراكدة.

المبحث الثاني: المياه الجوفية:

المطلب الأول: الينابيع والعيون.

المطلب الثاني: الآبار والخزانات.

المبحث الثالث: البحار: ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: العذب الفرات.

المطلب الثاني: الملح الأُجاج.

المطلب الثالث: البرزخ المائي.

المطلب الرابع: البحر المسجور.

المطلب الخامس: البحر اللُجي.

المبحث الرابع: أسماء الماء النازل من السماء.

- الفصل الثالث:

تحدثت فيه عن فوائد الماء، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: إحياء الأرض الميتة.

المبحث الثاني: الملاحة والنقل البحري.

المبحث الثالث: الثروة البحرية وتلويث البحار.

المبحث الرابع: الماء عصب الأحياء.

المبحث الخامس: الماء للتنظيف والتطهير.

- الفصل الرابع:

تحدثت فيه عن أثر الماء في الطبيعة، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تأثير الماء على التربة.

المبحث الثاني: تأثير الماء على الجبال.

المبحث الثالث: تأثير الماء على الصحارى.

- الفصل الخامس:

تحدثت فيه عن الماء كأحد أسباب التمكين، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التمكين الحضاري للأمم.

المبحث الثاني: التمكين بالنصر (معـركة بدر).

المبحث الثالث: نموذجان للتمكين.

المطلب الأول: نموذج قصة نبي الله نوح عليه السلام مع قومه فـي الطوفان.

المطلب الثاني: نموذج قصة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعـون في البحر.

أما الخاتمة فتحدثت فيها عن أهم نتائج البحث والتوصيات المقترحة.

وختاماً، فما كان في هذه الدراسة من خير فإنه بتوفيق ا وحده، وإن كانـت الأخـرى فإنه مني ومن شيطاني.وأسأل ا التوفيق والسداد، والحمد أولاً وأخيراً، وصلي اللهم علـى سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

الباحثة

بيت المقدس، رجب 1424 هـ

تمهيد:

تعريف الماء:

" الماء أصله موه، ويجمع على أمواه في القلة، ومياهٌ في الكثرة، مثل: جمل، وأجمال، وجِمال، والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام، وأصله موه بالتحريك"[1].

ويقال: ما أحسن ماء وجهه!: أي رونقه.

ذهب ماء شبابه: أي نضارته.

والنسبة إلى الماء: " مائي وماوي، جمع مياه وأمواه"[2].

والماء في القرآن: هو الماء النازل من السماء، أو النابع من الأرض، أو الموجود في الجنّةِ للمؤمنين، أو المعذب به في النار للكافرين، مثل:

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[3].

والنابع من الأرض مثل آية:

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[4].

والموجود في الجنة للنعيم مثل:

---

1 الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح وتاج اللغة، مادة موه، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطاء، دار العلم للملايين، لبنان، (2250/6)، وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الصحاح وتاج اللغة.

2 إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية، طهران، 899/2، وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: المعجم الوسيط.

3 سورة الرعد، الآية 17 .

4 سورة النازعات، الآيتان 30 ـ 31 .

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[1].

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾[2].

والموجود في النار للعذاب مثل:

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[3].

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[4].

ماء كالمهل: الزيت الرديء الأسود، وقيل النحاس المذاب، وقيل دردى الزيت، وقيل أيضا القيح والصديد[5].

وله تسميات:

- **الماء العذب:**

وهو ما قلّت نسبة الأملاح الذائبة فيه، بحيث أصبح سائغاً في الذوق من ناحية ملوحته[6].

---

1 سورة الإنسان، الآية 6 .

2 سورة محمد، الآية 15 .

3 سورة محمد، الآية 15 .

4 سورة الكهف، الآية 29 .

5 الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، من منشورات المسجد الأدهمي، القدس، 1997، ص 476، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: المفردات. وانظر: الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، حققه وخرج أحاديثه: يحيى خالد توفيق، تقديم: د. عبد الوهاب فايد، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 638، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: مختار الصحاح.

6 المعجم الوسيط، (899/2) .

قال تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾[1].

ـ الماء المالح:

هو الماء الذي زادت نسبة الأملاح فيه على نسبتها في الماء العذب[2].

قال تعالى:﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[3].

ـ الماء المعدني:

الماء الطبيعي الذي يخرج من جوف الأرض وبه أملاح ذائبة تُكسبه طعمـاً خاصـاً، وقد يكون له خواص طبية[4].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾[5].

ـ الماء الدافق:

هو الماء الذي يخلق منه الإنسان بقدرة ا [6].

دفق الماء: صبه، والاندفاق: الانصباب[7].

دافق: سائل سريع[8].

---

1 سورة الفرقان، الآية 53 .

2 المعجم الوسيط، (899/2) .

3 سورة الفرقان، الآية 53 .

4 المعجم الوسيط، (899/2) .

5 سورة البقرة، الآية 74 .

6 المعجم الوسيط، (899/2) .

7 مختار الصحاح، ص 207 .

8 المفردات، ص 170 .

قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ﴾[2].

" أي من نطفة، وقيل: إن كل حيوان في خلقته ماء كما خُلِقَ آدم من الماء والطين"[3].

ـ الماء الحميم:

" هو الماء الموجود في النار المخصص للعذاب، وهو ماء بدرجة حرارة عاليةٍ جداً" "تُسعر عليه جهنم منذ خلقت، إذا دنا منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم"[4].

قال تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[5].

ـ **الماء الغائر:**"هو الماء البعيد عن المتناول، الغائر في الأرض"[6]. وعادة يحتاج إلى جهد لاستخراجه.

ـ الماء المعين:

"هو الماء الجاري من العين، أو الجاري بسهولة في الأرض"[7].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾[8].

---

1 سورة الطارق، الآيات 5 ـ 7 .

2 سورة النور، الآية 45 .

3 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1996، (192/12)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: تفسير القرطبي.

4 البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل، 95/5، دار الفكر، بيروت، 1422 هـ ـ/2002م، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: معالم التنزيل.

5 سورة محمد، الآية 15 .

6 المفردات، ص 470 .

7 المصدر نفسه، ص 367 .

8 سورة الملك، الآية 30 .

ـ المبحث الثالث:

خواص الماء

والمقصود بخواص الماء: كل ما يتعلق بالماء من خواص حياتية، أو خواص تركيبيـة، أو خواص كيمائية، أو فيزيائية، أو غيرها.

فهو أساس الحياة ومادتها وسيد الشراب، وأحد أركان العالم، بل ركنه الأصـلي، فـإن السحاب خُلِق من بخاره، والأرض من زبده، وقد جعل ا منه كل شيء حي"[1].

قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

قلت: وتزداد حاجة الناس إلى الماء يوماً بعد يـوم، لمختلـف الاحتياجـات الحياتيـة الضرورية لبقائه، فقد استطاع الإنسان إعمار هذه الأرض التي سخّرها ا عز وجل لـه مـن خلال سعيه في مناكبها، ونحن نشاهد اليوم ما وصل إليه بني الإنسان مـن ارتفـاع المسـتوى المعيشي وانتشار الصناعات المختلفة، وزيادة المساحات الزراعية، وكـل هـذا يحتـاج إلـى استهلاك مائي، وعلى هذا فإن الحاجة إلى الماء تزداد كلما ازداد التقدم في العالم.

والماء أساس الحياة لجميع أنواع الكائنات الحية، من إنسان وحيوان ونبـات، وكائنـات حية دقيقة.

"وتمتاز المياه بحركتها المستمرة في الطبيعة، وذلك بفعل الطاقة الشمسية، إذ تتحول من شكل إلى آخر مكونة بذلك دورة المياه الغازية في الطبيعة. وحسب الموازنة المائيـة لا يوجـد

---

1 الجوزية، ابن قيم، موسوعة الطب النبوي، تحقيق: محمد الأنور البلتاجي، المكتبة العصـرية، بيـروت، ط1، 1420 هـ/2000م، ص 709، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: موسوعة الطب النبوي .

2 سورة الأنبياء، الآية 30 .

فقدان أو خسارة في الميزان المائي العالمي، إلا بقدر كمية المياه التي خرجـت مـن كوكـب الأرض مع رواد الفضاء إلى الفضاء الخارجي.

تبلغ مساحة الكرة الأرضية حوالي 510 ملايين كم^2، وتُغطي المياه حوالي 361 مليون كم2، أي ما يعادل حوالي 8، 7.% من المساحة الكلية"[1].

"ويقول بعض العلماء أن النسبة تزيد عن 75% من المساحة الكلية"[2].

والماء عبارة عن مركّب كيميائي ينتج من تفاعل غاز الأكسجين مع غاز الهيدروجين، ويرمز له كيميائياً بـ (H_2O).

وتتميز المياه بخواص فيزيائية وكيمائية تجعلها أهم مادة في الطبيعة علـى الإطـلاق، بالنسبة إلى جميع أنواع الكائنات الحية. بالإضافة إلى هذه الخواص فهناك ماء ورد ذكره فـي السنّة المطهرة كنوع مميز من الماء لا بد من الحديث عنه ألا وهو ماء زمزم.

- الخواص الفيزيائية للمياه:

كثافة المياه:

"تُحسب كثافة المياه بتقسيم وزنها على حجمها (وزن/حجم). وترتبط كثافة الميـاه مـع العوامل التالية:

[1] كمية الأملاح: فكلما زادت كمية الأملاح المذابة في الماء زادت الكثافة.

[2] الضغط: تزداد كثافة المياه كلما ازداد الضغط، وهذا نجده في المياه العميقة.

---

1 غرايبة، سامح ورفيقه، المدخل إلى العلوم البيئية، ص 247 .

2 مجموعة من العلماء الأمريكيين، ا يتجلى في عصر العلم، ترجمة: د. الدمرداش، ص 44 . أنظر: أرناؤوط، محمد السيد، الاعجاز العلمي في القرآن، ص 255، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: ارنـاؤوط، الإعجـاز العلمي.

[3]	درجة الحرارة: إذ تقل كثافة السائل كلما زادت درجة الحرارة، ولكن ذلك ينطبق علـى الماء بعد درجة حرارة (94، 3)، وهذا من شواذ العناصر، حيث نجد الجليد أقل كثافـة من المياه في الحالة السائلة، لذلك يطفو على سطح الماء.

والخواص الفيزيائية للمياه تجعل الحياة في المياه ممكنة، فلو كانت كثافة الجليد أكبر من كثافة المياه لتجمدت المياه من أسفل إلى أعلى، ولن ينصهر جليد البحيرات في المناطق الباردة، ولن يكون هناك حياة في المياه كما نجدها الآن بسبب عدم قدرة أشعة الشمس على صهر الجليد في الأعماق"[1].

الحرارة النوعية:[2]

"والحرارة النوعية للمياه أعلى من الحرارة النوعية لأي مادة باستثناء غـاز الأمونيـا والهيدروجين السائل.

ويعطي الرقم المرتفع للحرارة النوعية لمياه البحيرات القدرة على تخزين كميات كبيرة من الطاقة الحرارية، والمحافظة على الموازنة الحرارية العالية. كما أن للماء خواص فيزيائيـة أخرى، نُشير إليها مجرد إشارة، مثل:

- لزوجة المياه: وهي مهمة لحركة الكائنات الحية داخل المياه.
- التوصيل الكهربائي: فالماء موصل جيد للكهرباء في حال وجود أملاح مذابة فيه، وهو موصل للتيار الكهربائي في حالة نقائه"[3].

1 غرايبة، المدخل إلى العلوم البيئية، ص 248 ـ 149 .

2 الحرارة النوعية للمادة: كمية الحرارة اللازمة لرفع حرارة غرام واحد من هذه المادة درجة مئوية واحدة مقدرة بالكالورين.

3 غرايبة، المدخل إلى العلوم البيئية، ص 251 .

الخواص الكيميائية للماء:

"من أهم الخواص الكيميائية للمياه قدرتها على إذابة مختلف المواد العضوية والغـازات، لذلك لا نجد المياه في الطبيعة نقية وخالية من الشوائب، فمياه الأمطـار تقـوم بإذابـة المـواد والغازات، ومن أهمها غازات: الأكسجين، وثاني أكسيد الكربون، والنيتروجين، بالإضافة إلـى أكاسيد النيتروجين والكبريت، التي تتفاعل مع مياه الأمطار في بعض الحالات، مكونة الأمطار الحمضية، كذلك الماء أثناء تغلّغله في أعماق التربة يذيب الكثير من المواد، مما يـؤثر علـى صلاحية استعماله"[1].

"للماء كثيرٌ من الخواص ذات الأهمية البالغة والتي إذا نظر الإنسان إليها في مجموعها وجدها تدلّ على التصميم والتدبير.

[1] فالماء يغطي ثلاثة أرباع سطح الأرض، وهو بذلك يؤثر تأثيراً بالغا على الجو السـائد ودرجة الحرارة، ولو يجرد الماء من بعض خواصه لظهرت على الأرض تغييرات في درجة الحرارة تؤدي إلى حدوث الكوارث.

[2] وللماء درجة ذوبان مرتفعة، وهو يبقى سائلاً فترة طويلة من الزمن، وله حرارة تصعيد بالغة الارتفاع، وهو بذلك يساعد على بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت، ويصونها من التقلبات العنيفة، ولولا كل ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحيـاة إلى حد كبير، ولقلّت متعة النشاط الإنساني على سطح الأرض بدرجة عظيمة.

[3] والماء أكثر السوائل المعروفة إذابة لغيره من الأجسام، وهو بذلك يلعب دوراً كبيراً في العمليات الحيوية داخل أجسامنا، بوصفه مركّباً أساسيا من مركباتها.

---

1 غرايبة، المدخل إلى العلوم البيئية، ص 251 .

ماء زمزم وخصائصه:

ماء زمزم أفضل المياه وأشرفها، إذ فجرها جبريل عليه السلام بضربة منه في وادٍ غير ذي زرع، سقيا من ا لإسماعيل عليه السلام وللمسلمين من بعده، وكان ذلك استجابة مـن ا تعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[1].

لقد كان وادياً خاليا من الزرع، وخاليا من الماء، وخاليا من الأشجار المثمرة، وخاليـا من الناس، ولم تكن به مظاهر الحياة، ويطلب إبراهيم عليه السلام من ربه أن يحوله إلـى وادٍ مثمر فيه ماء وفيه زرع، وفيه حياة ويسكنه الناس ويقيمون فيه، فاستجاب ا دعـاء إبـراهيم عليه السلام، فتم بناء بيت ا الحرام في ذلك الوادي، وأقيمت هناك مكـة المكرمـة، وسـكنها الناس، وظهر الماء، ونبت الزرع في الوادي، وعُمر بالحياة والأحياء، وصار البلد آمناً، ورزقه ا من الثمرات أفضلها وأجودها على مدار العام[2].

وجاء في صحيح مسلم عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه قال لأبي ذر وقد قـام بـين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة، ليس له طعام غيره (غير زمزم)، فقال النبي صـلى ا عليه وسلم: إنها طَعام طُعم"[3]. إنها تُشبع شاربها كما يشبعه الطعام، فقد جعلها ا عز وجل غذاء لأم إسماعيل وابنها عليهما السلام.

---

1 سورة إبراهيم، الآية 37 .

2 الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط1، 1419 هـ/1998.م، (386/1)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: القصص القرآني.

3 صحيح مسلم بشرح النووي، 2473، في فضائل الصحابة، من فضائل أبي ذر رضي ا عنه، (30/16).

وفي الحديث أيضا: " ماء زمزم لِما شُرب له"[1].

وذكر ابن القيم في كتابه زاد المعاد: " وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرئت بإذن ا ، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعاً"[2].

وقال الشوكاني في كتابه نيل الأوطار ما نصه: " قوله صلى ا عليه وسلم ماء زمزم لما شُرب له: فيه دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأي أمر شربه لأجله، سواء كان في أمور الدنيا أو الآخرة، لأن [ما] في قوله: لما شرب له من صيغ العموم"[3].

والعناصر الكيميائية في ماء زمزم يمكن تقسيمها إلى أيونات موجبة، وهي بحسب وفرتها تشمل: أيونات الصوديوم، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والمغنيسيوم، وأيونات سالبة وتشمل: الكبريتات، والبيكربونات، والنترات، والفوسفات، والنشادر.

"وكل مركّب من هذه المركبات الكيميائية له دوره المهم في النشاط الحيوي لخلايا جسم الإنسان، وإن هناك علاقة وطيدة بين اختلال التركيب الكيميائي لجسم الإنسان والعديد من الأمراض"[4].

---

1 صحيح سنن ابن ماجة، باختصار السند، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط1، 1986م، ط3، 1988، حديث رقم 2484، ورقمه في ابن ماجة 3062 (183/3).

2 ابن قيم، الجوزية، شمس الدين أبي عبد ا محمد بن أبي بكر الزرعي، زاد المعاد، في هدي خير العباد، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (393/4)، حديث جابر بن عبد ا ، ط1، 1990، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: زاد المعاد.

3 الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، طبعة منقّحة متنوعة ومدققة الأحاديث، دار الفكر، بيروت، 1994، (158/5)، حديث رقم 2048، كتاب المناسك، باب (59) ما جاء في ماء زمزم. وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: نيل الأوطار.

4 النجار، د. زغلول، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، دار نهضة مصر، ص 50 .

قلت: هذا الماء بخصائصه التي خلقه ا عليها: عذب فرات، سائغ فيه الحياة نعمة مـن ا أنعمها على بني الإنسان، كيف لو تغير هذا الماء؟ يقول ا تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[1].

أجاجاً: أي مالحاً يميل إلى الحموضة.

وهذه الآية من الإعجاز القرآني أيضا، يمن ا بها علينا، كي نتفكر ثم نشكر ا ، " فإن الهواء أربعة أخماسه آزوت، والآزوت لا يكاد يبتعد في العادة بشيء ولا بالأوكسجين الذي يكاد يتّحد بكل بشيء، لكن الكيمياويين وجدوا أنهم يستطيعون بالكهرباء أن يحولـوا الآزوت غيـر الفعال إلى آزوت فعأل يتّحد بأشياء كثيرة في درجة الحرارة العادية، كما وجدوا أنهم يستطيعون أن يحملوا الآزوت على الاتحاد بالأوكسجين، بإمرار الشرر الكهربائي في مخلوط منها. ومـن هذا الاتحاد ينشأ بعض أكاسيد للآزوت القابل للذوبان في الماء، وإذا ذاب فيه اتحد بـه وكـون حامضين آزوتيين، أحدهما حامض الآزوتيك أو (ماء النار) كما تُسميه القدماء، وإليـه يصـير الحامض الثاني، وقليل من حامض الآزوتيك في الماء كافٍ لإفساد طعمه[2]، فهذا ما يقولـه ا أنه قادر على تحويل الماء إلى أجاج، أي حامضي، أي حامض الآزوتيـك. فالحمـد علـى عذوبة الماء وإحيائه للناس.

كما يستخدم الماء في العلاج أيضا، ولكثير من الأمراض مثل: علاج التهابات الأمعـاء والمعدة، وقرحة المعدة، حيث يعتمد علاج المعدة وقرحتها، والتهاب المعدة، بـالعلاج بالمـاء وبالغذاء، وشرب المياه المعدنية، وحمامات الماء، وحمامات الطـين، ولكـل مـريض حالتـه الخاصة، والماء المناسب له من حيث الحرارة والأملاح المذابة فيه.

---

1 سورة الواقعة، الآيات 68 ـ 70 .

2 عباس، د. فضل، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، ص 277 ـ 178 .

ويستخدم في علاج حالات التهاب الفم والأسنان، وتُستخدم المياه تحت ضغط في الفـم عن طريق جهاز خاص لمدة (10 دقائق) في درجة الحرارة 25 مئوية، كنـوع مـن التـدليك الميكانيكي، وتنشيط الدورة الدموية ونظافة الأسنان وتنظيف اللثة"[1].

"وكما يستخدم الماء في علاج بعض الأمراض السابقة وغيرها، فإنه قد يكون سبباً فـي نقل الأمراض إلى الإنسان عند التلوث، فقد ينقل الماء إلى الإنسان الميكروبـات التـي تُسـبب مرض التيفوئيد، والباراتيفود، وكذلك بويضات الطفيليات، والأطوار المعدية، كما في البلهارسيا وغيرها من الأمراض الأخرى"[2].

ثم لا ننسى أن الماء هو المخصص للوضوء وللاغتسال، ولا يجوز بغيره، وقـد فهـم الشوكاني من الآية الكريمة:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾[3].

طهور: أي به تتم الطهارة، مثل وضوء: وهو الماء الذي يتوضأ بـه والوضـوء. أي طاهر في نفسه، مطهر لغيره، وبه يكون الوضوء والاغتسال.

والماء ضروري لكل الكائنات الحية، إذ يكون الجزء الأكبر من البروتوبلازم في الخلية الحية، ومن العصارة النباتية، ومن الدم، كما أنه ضروري لعملية البناء الضوئي، فهو يوجد في جسم الإنسان بنسبة 07%، وفي النباتات بنسبة تتراوح من 50 ـ 90%، كما يوجد في جميـع المواد العضوية، ومن ذلك أن اللبن يحتوي على 87% منه[4]. ومن هذا يمكن أن نفهم بشـكل أوضح قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[5].

---

1 أرناؤوط، الإعجاز العلمي، ص 274 ـ 275 .

2 أرناؤوط، الإعجاز العلمي، ص 274 ـ 275 .

3 سورة الفرقان، الآية 48 .

4 أرناؤوط، الإعجاز العلمي، ص 275 .

5 سورة الأنبياء، الآية 30 .

الصراع على الماء:

أقول إنه ومنذ نشأة التاريخ البشري على هذه الأرض كانت الجماعات أو القبائل تتسابق للسيطرة على مصدر مائي يفي باحتياجاتها المعيشية، ولقد قص القرآن علينا قصة نبي الله صالح مع قومه واختبار الله لهم في ماء البئر.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[1]، وكانت المياه مقسومة بينهم: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾[2].

كما أخبرنا الله عن بنتي شعيب عند ماء مدين كيف كانتا تنتظران فراغ الرعاة من السقي ثم تأتيان للسقي بعدهم، أي أن الضعيف ينتظر القوي لينتهي من استخدامه للماء، وهكذا الحال بين الدول المائية التي تشترك في مصدر مائي، فالقوي فيها يسيطر على الماء ويحرم ويظلم الضعيف، وهذه الصورة انطبقت على الحالة العربية (فلسطين، الأردن، لبنان، وسوريا) والكيان الصهيوني المحتل. فإسرائيل وبحكم حاجتها المتنامية للمياه سيطرت في العام 1967 على معظم مصادر المياه في المنطقة، وتركت الأطراف المائية المشاركة في المنطقة تحت رحمة إملاءاتها. ولقد جاءت كل القوانين والمشاريع الدولية لتدعم وجهة النظر الإسرائيلية، كما ويضاف لذلك الإجراءات الإسرائيلية للسيطرة على الماء.

وتحتل قضية المياه مكانة متقدمة في الصراع العربي الفلسطيني، وتشير الأرقام والإحصائيات بلوغ الأراضي الفلسطينية - الضفة الغربية وقطاع غزة - حدود العجز المائي[3].

أقول دعنا الآن نذكر بعض الآيات التي لها علاقة بالصراع على الماء ونحاول فهمها:

---

[1] سورة الشمس، الآية 13 .

[2] سورة القمر، الآية 28 .

[3] رسلان، أحمد فؤاد، السفير المصري في فلسطين، من مقالة في مجلة شؤون تنموية، العدد 25، ص 81، بعنوان مستقبل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

قال تعالى: * إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ *[1]. وقال تعالى: * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا *[2]. وقال عز من قائل: * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ *[3].

ولكن لفت انتباهي وأنا أحاول البحث في كتب الحديث عن إشارة في السنة النبوية للصراع على الماء في المنطقة حديث الرسول صلى ا عليه وسلم في صحيح مسلم، والذي عنون له ما في الدنيا من أنهار الجنة، فعن أبي هريرة رضي ا عنه قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (سيحان، وجيحان، والفرات، والنيل كل من أنهار الجنة)[4].

ونحن نعلم أنه صلى ا عليه وسلم ما ينطق عن الهوى، وهذا الحديث ليلة الإسراء، وكأنه صلى ا عليه وسلم يخبرنا أن هذه الأرض المباركة من الفرات إلى النيل أرض مباركة لها مكانة خاصة، ومعلوم أيضا أن الكيان الصهيوني بما يعرف بإسرائيل الكبرى هي الأرض الواقعة بين الفرات والنيل - حسب زعمهم وأطماعهم - وهذا ما يصرحون به، بل إن العلم الإسرائيلي بخطيه الأزرقين معناهما (من الفرات إلى النيل أرضك يا إسرائيل). واليوم، ومع ازدياد الهجمة الشرسة على قطاع غزة وتدمير البنية التحتية لها، وإتلاف ما تبقى من مصادر للمياه فقد ازدادت الأزمة المائية، وزاد الخطر، وتعقدت الأمور، مما ينذر بحرب حقيقية على الماء تبدأ من غزة وتنتهي بأقصى شمال فلسطين.

---

1 سورة القمر، الآيتان 27 و 28 .

2 سورة القمر، الآيات 13 - 15 .

3 سورة القصص، الآيات 22 - 24 .

4 صحيح مسلم، كتاب صفة الجنة، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، حديث رقم (2939).

الفصل الأول

مسائل في الماء

المبحث الأول: منشأ المياه.

المبحث الثاني: كيفية تكوّن المطر.

المبحث الثالث: بعض دواعي نزول المطر وموانعه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستغفار.

المطلب الثاني: الإيمان والتقوى.

المطلب الثالث: الزكاة والمخلوقات.

المبحث الرابع: الماء في العقيدة والفقه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الماء في العقيدة.

المطلب الثاني: الماء من ناحية فقهية.

الفصل الأول:

ـ المبحث الأول:

منشأ المياه

قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[1].

إن هذه الآية الكريمة سبقت كل الدراسات والأبحاث العلمية والنظريـات حـول منشـأ المياه، بل منشأ الأرض والغلاف الجوي، والغلاف المائي بثلاث كلمات فقـط، يبـين القـرآن الكريم للناس كافّة وللمؤمنين خاصة، حقيقة علمية تُفسر لنا قصة الأرض والحياة.

قال تعالى: *أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا* أي أن الماء الموجود أساسه واصله من نفس الأرض، من بخار مكثـّف من براكين الأرض ينزل على صورة ماء ـ مطرـ وتمتلئ المحيطـات، أو قل المنخفضات الأرضية، وتتشكـّل البحار والبحيرات، وكل ما يتعلق بماء الأرض.

وحول تفسير الآية الكريمة وسبق علماء التفسير لهذا الفهم، بسـبب فهمهـم للكلمـات القرآنية فقط، وليس بمراصد فلكية، ولا دراسة طبقات الأرض، بل بالفهم الصـحيح، والتسـليم لكلام ا العليم، فإن ا تعالى يقول:

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [2].

---

[1] سورة النازعات، الآيتان 30 و 31 .

[2] سورة النازعات، الآية 27 ـ 33 .

دحاها: " دحا الأرض يدحوها دحواً: بسطها، والأدحى: بيض النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض فيه"[1].

إذن دحو الأرض: تمهيدها وبسط قشرتها، بحيث تـُصبح صالحة للسير عليها، ولسكنى أهلها. وقد كانت الأرض مخلوقة غير مدحوة، جاء في سورة فصـّلت، قال تعالى:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[2].

فإن هذه الآية تدلّ على أن خلق السماوات كان بعد خلق الأرض، والآية الـتي نحـن بصددها تُشير إلى أن ا تعالى دحا الأرض ومهـّدها لسكنى الناس بعد أن خلق السماء.

"والآيتان تـُرشدان إلى أن ا تعالى خلق الأرض أولا، ثم خلق السماوات بعد ذلك، ثم عاد إلى الأرض فمهدها ودحاها، فآية فصلت حكاية للخلق الأول ومبدئه، وهذه حكاية للإصلاح الذي كان بعد الخلق"[3].

"والنظريات الفلكية الحديثة تقرب من مدلول هذا النص القرآني حين نفترض أنـه قـد مضى على الأرض مئات الملايين من السنين، وهي تدور دورتها، ويتعاقب الليل والنهار عليها

---

1 ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهـاب، محمـد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط3 (303/4)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: لسان العرب.

2 سورة فصلت، الآيات 9 ـ 12 .

3 كشك، عبد الحميد، في رحاب التفسير، المكتب المصري الحديث، (7854/29، 7855)، وسيشار إليـه عنـد إعادة ذكره هكذا: كشك، في رحاب التفسير .

قبل دحوها، وقبل قابليتها للزرع، وقبل استقرار قشرتها على ما هـي عليـه مـن مرتفعـات ومستويات"[1].

يقول صاحب الظلال: "وا أخرج من الأرض ماءها سواء ما يتفجـّر من الينابيع، أو ما ينزل من السماء، فهو أصلاً من مائها الذي تبخـّر ثم نزل في صورة مطر. وأخـرج مـن الأرض مرعاها وهو النبات الذي يأكله الناس والأنعـام، وتعـيش عليـه الأحيـاء مباشـرة وبالواسطة"[2].

أقول: وحول آية *أَخْرَج مِنْها ماءها ومرعاها* فقد تضاربت آراء الباحثين حول تفسير نشأة الغلاف المائي، أو بمعنى آخر كيفية تكوين مياه الأمطار والمحيطات.

" فقد اعتقد بعض الباحثين في البداية أن مادة وطاقة هذا الكون تم تواجدها مرة واحـدة في زمن معين في القِدم، وبعد ذلك راح الكون يسير نحو التعادل. واعتقد غيـرهم أن مصـدر الكمية الهائلة من المياه تـُعزى إلى كمية التساقط العظمى فوق سطح الأرض، بالإضافة إلـى ذوبان الجليد وما تصبـّه المجاري النهرية من مياه في الأحواض البحرية، ولكن يتضح أن هذه المياه بأشكالها المختلفة كانت في وقت ما جزءاً من مياه المحيط، ثم تعرضت للتبخّر والتكاثف، وعادت ثانية إلى المحيط نفسه على شكل أمطار ساقطة، أو ثلوج مذابة.

وعلى ذلك ظهر في الأفق نظريات جديدة تؤكد أن المصدر الأساسـي لميـاه البحـار والمحيطات هو المياه الأولية، والتي يقصد بها تلك المياه التي تظهر لأول مـرة علـى سـطح

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، طبعة جديدة تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلـف، دار الشـروق، القاهرة، (3817/6)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: في ظلال القرآن .

[2] في ظلال القرآن، (3816/6 ـ 3817).

الأرض، أو في قاع البحر، والتي مصدرها باطن الأرض نفسه، أو الصخور البركانيـة التـي تُقذف مع انبثاق المصهورات البركانية وتكوين السدود والعروق البركانية"[1].

أما كيف يتم التبخّر لمياه البحار والمحيطات؟

"لما كانت الحرارة أهم عوامل طرد الغازات وأبخرة الميـاه فـي الأجسـام الصـلبة، وبارتفاع درجة حرارة الأرض، انبعثت أبخرة المياه من كافة أجزائها إلى السطح، والتي كونت الغلاف الجوي للأرض، وبقيت المياه تتبخّر وتتساقط وتعود إلى الجو مرة أخرى وهكذا، بسبب ارتفاع درجة حرارة القشرة الأرضية، حتى راحت تستقر في المناطق المنخفضة من السـطح، وكان ذلك بداية ظهور البحار والمحيطات"[2].

وهذا الكلام ليس بجديد، بل هو ما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[3].

"أي ذات المطر، ترجع كل سنة بمطر بعد مطر"[4]، "وسمي رجعاً لرد الهواء ما تناوله من الماء"[5]. فهذا الكلام سبق إليه القرآن الكريم منذ مئات السنين، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على إعجاز القرآن الكريم، وأنه سيبقى يتحدى في كـل مكـان وزمـان.د والأرض ذات الصدع: الصدع الشق في الأجسام الصلبة[6]، فهي تنشقّ ليخرج منها الزرع والنبـات، وهـذه العملية أيضا تتكرر.

---

1 أبو العينين، د. حسن سيد، كوكب الأرض: ظواهره التضاريسية الكبرى، دار النهضة، بيروت، ص 90 ـ ـ ـ 91 . وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: أبو العينين، كوكب الأرض.

2 الفندي، د. جمال الدين، القرآن والعلم، دار المعرفة، ط1، 1968، القاهرة، ص 150 ـ 151، وعنـد إعـادة ذكره سيشار إليه هكذا: الفندي، القرآن والعلم.

3 سورة الطارق، الآيتان 11 و 12 .

4 تفسير القرطبي، (8/20).

5 معالم التنزيل، (346/5).

6 المفردات، ص 189 .

المبحث الثاني:

كيفية تكون المطر

"لقد سادت في الماضي آراء حول نزول المطر من السماء، فمنهم من كان يظن أن المطر كله من ماء البحر، وأن خراطيم السحاب تتدلى إلى أمواج البحر فتمتص منه الماء ثم ينزل مطراً"[1].

أقول: لقد جاء القرآن الكريم بدحض هذه الآراء من خلال آيات معجزة فتحت الباب أمام كل من أراد أن يكتشف نواميس وقوانين هذا الكون، فما عليه إلا الرجوع إلى هذا القرآن الكريم ففيه الجواب عن كل شيء.

وإليكم بعض الآيات التي تتحدث عن موضوع " كيفية تكون المطر":

[1] قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

[2] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[3].

[3] وقال أيضا: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[4] .

---

1 ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، (2/ 97)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: التحرير والتنوير .

2 سورة الأعراف، الآية 57 .

3 سورة النور، الآية 43 .

4 سورة الروم، الآية 48 .

[4] وأيضا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[1].

تتحدث الآيات عن الترتيب الرباني لموضوع المطر في كلمات: يرسل الريـاح، تُثيـر السحاب، يزجي سحاباً، يجعله كِسفاً، الودق يخرج من خلاله.

أولا: ا الذي يرسل الرياح:

"والريح: معروف، وهي فيما قيل الهواء المتحرك، وعامة المواضع التي ذكر ا تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد، فعبارة عن العذاب وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع عبارة عـن الرحمة.

فمن الريح: قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾[2]. وقوله تعـالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[3]. وقال في الجمع: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾[4][5].

" إذن جـاءت فـي القرآن مجموعة مع الرحمة، مفردة مع العـذاب، إلا فـي قولـه تعالـى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[6].

وهذا أغلب وقوعها في الكلام، وفي الحديث: (الريح مـن روح ا تـأتي بالرحمـة وبالعذاب، فلا تسبوها وسلوا ا من خيرها وعوذوا به من شرها) [7]، لأن ريح العذاب شـديدة

---

1 سورة فاطر، الآية 9 .

2 سورة فصلت، الآية 16 .

3 سورة آل عمران، الآية 117 .

4 سورة الفرقان، الآية 48 .

5 المفردات، ص 206 .

6 سورة يونس، الآية 22 .

7 رواه الشافعي في مسنده، وأبو داود (5097)، وابن ماجة بإسناد صحيح (3727)، والبيهقـي فـي الـدعوات الكبيـر، أنظر: التبريزي، محمد بن عبد ا الخطيب، مشكاة المصابيح، كتاب الصلاة، باب الرياح، تحقيـق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط3، 1985م، (48/1.) .

ملتئمة الأجزاء، كأنها جسم واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة، وإنما أفردت مع الفلك في سورة يونس لأنها لإجراء السفن، وهي واحدة متصلة، ثم وصفت بالطيبة، فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب"[1].

"وجمع الريح رياح، وأرياح، وقد تُجمع على أرواح"[2].

"يرسل: فإرسال الرياح هبوبها من المكان الذي تهب فيه ووصولها، وحسن هذه الاستعارة أن الريح مستمرة إلى المكان الذي يريد ا هبوبها فيه، فشُبهت بالعاقل المرسل إلى جهة ما"[3].

"وأطلق على تكوين الرياح فعل [أرسل] الذي هو حقيقة في بعث شيء وتوجيهه، لأن حركة الرياح تُشبه السير، وقد شاع استعمال الإرسال في إطلاق العنان لخيل السباق"[4].

وقبل أن ننتقل للحديث عن السحاب وتكوين المطر، سنعرض بعض الآيات التي تتحدث عن أنواع الرياح ودورها في تكوين المطر:

---

1 ابن عادل، أبو حفص، عمر بن علي بن عادل (ت 880 هـ) اللباب في علوم الكتاب، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ/1998م، (130/3)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: اللباب في علوم الكتاب .

2 مختار الصحاح، ص 261 .

3 التحرير والتنوير، (178/8) .

4 المصدر نفسه، ص 178 .

[1] قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[1]. وقوله تعـالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[2].

بشرا: وقد ورد فيها عدة قراءات. قرأ عاصم بالباء الموحدة، وضمها وإسكان الشـين، وقرأ ابن عامر بالنون وضمها، وإسكان الشين، وحجة من قرأ هكذا أنه كره الجمع بين ضمتين متواليتين، فأسكن تخفيفا، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون وفتحها وإسكان الشين، وحجته أنه جعله مصدرا، ودليله ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾[3]، وهي الرياح التي تهب من كل وجه لجمع السـحاب الممطرة. وقرأ الباقون بالنون وضمها وضم الشين، وحجتهم بأنهم جعلوه جمعاً لريح " نشور[4].

[1] ويقال لهذه الرياح المبشّرة: أي تُبشّر بقدوم المطر، وهي على قراءة بشراً، وحجته أنـه جعله جمع ريح، وهي التي تُبشر بالمطر ودليله قوله تعالى: ﴿الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾[5][6].

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[7].

[2] المثيرة: فتثير سحابا، من ثور، ثار الغبار، سطع، وثور فلان الشر تثويرا: أي هيجـه وأظهره[8].

فاللفظ أثار في لغة العرب يحمل معنيين، معنى أظهر وهيج، فالرياح أظهرت السحاب، ثم هيجته فنزل المطر من خلاله بقدرة ا عز وجل.

---

1 سورة الأعراف، الآية 57 .

2 سورة الفرقان، الآية 48 .

3 سورة المرسلات، الآية 3 .

4 ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق أحمد الزيدي، دار الكتب العلميـة، بيـروت، طبعة1999، بيروت، ص 85 و 86، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: الحجة في القراءات السبع.

5 سورة الروم، الآية 46 .

6 الحجة في القراءات السبع، ص 85 .

7 سورة فاطر، الآية 9 .

8 مختار الصحاح، ص 89 .

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾[1].

التزجية: دفع الشيء لينساق كتزجية رديف البعير وتزجية الريح السحاب[2].

والتزجية: دفع الشيء، تُزجى البقرة ولدها، أي تسوقه، والريح تُزجـى السـحاب، أي تسوقه سوقا رفيقا[3].

[3] وهذه تسمى المؤلفة: ويؤلف بينه بفعل الرياح، أي يجمعه عند انتشائه ليقوى ويتنصـل ويكثف فينزل المطر[4].

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾[5].

لواقح: أي حوامل، جعل الريح لاقحاً لأنها تحمل الماء والسحاب، وتقلبه وتصرفه، ثـم تستدره، فالرياح لواقح أي حوامل على هذا المعنى[6].

" بين ا تعالى أن الرياح تثير سحابا دقائق، بحالتين متضاربتين لينهما تجاذب طبيعـي سماها العلم بالتكهرب الموجب، والتكهرب السالب، وأنها تجمع بين هذين النوعين من الـدقائق المائية تحت تأثير التجاذب بينهما، فتتكون قطرات مائية كبيرة تسقط مطرا[7].

---

1 سورة النور، الآية 43 .

2 المفردات، 213 .

3 لسان العرب، (24/6).

4 تفسير القرطبي(19/12.).

5 سورة الحجر، الآية 22 .

6 لسان العرب، (31/12.).

7 حنفي أحمد، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص 370 .

"وتنشأ الرياح بفعل حرارة الشمس التي تُسخّن الهواء فيقل ثقله في الجو ليأخذ الهـواء البارد الأكثر ثقلاً مكانه، والرياح لا تتوزع عشوائياً على سطح الأرض، بل تتبع ككل مخلوقات الله نظاماً محكما"[1].

"والعامل الرئيسي لهبوب الرياح هو اختلاف الضغط الجوي من مكان إلى آخر، وتهب الرياح دائماً من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض القريبة منها"[2].

"ونلاحظ في آيات القرآن ذكر الرياح قبل السحاب، وذلك لأنها هي التي تثيره وتجمعه، وهي التي تسوقه إلى حيث يمطر، وتفرق شمله أحياناً فيمتنع المطر"[3].

قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[4].

وتصريف الله تعالى الرياح مع دقتها ولطافتها، وفي ذلك نفع عظيم: لانتفـاع الحيـوان بتنشّق الهواء البارد، وجريان السفن بهبوب الرياح، ومن قبل تلقيح الأشجار، وسوق السـحاب إلى حيث يرسله الله تعالى، ومن جهة تصحيح الأهوية الوبائية إلى غير ذلك من المنافع.

والمراد بتصريفها: تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح شمالاً وجنوبا، وشـرقا وغرباً على كيفيات متخالفة حارة وباردة، وعاصفة ورخاء[5].

---

1 الشريف، د. عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، دار العلم، بيروت، ط2، 1994، ص 85، وسيشـار إليه عند إعادة ذكره هكذا: الشريف، من علوم الأرض القرآنية .

2 شرف، عبد العزيز طريح، الجغرافيا المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية، ص 109، وسيشار إليـه عنـد إعادة ذكره هكذا: شرف، الجغرافيا المناخية والنباتية .

3 رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير المنار، 1865م، 1935، خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (63/2)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: تفسير المنار .

4 سورة البقرة، الآية 164 .

5 النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقا، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، (458/1) وسيشار إليه عند إعـادة ذكـره هكـذا: تفسير غرائب القرآن.

ثانيا: السحاب:

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

السحاب: الغيم، والسحابة: التي يكون منها المطر، سميت بذلك لانسحابها في الهـواء، والجمع سحائب، وسحاب، وسحب، وخليق أن يكون سحب وجمع سحاب الذي هو جمع سحابة فيكون جمع جمع[2].

"يتكون السحاب من تصاعد أبخرة البحار ورطوبة الأرض التي تُبخرها أشعة الشمس، ولذا لم يخل الهواء من بخار الماء، إلا أن بخار الماء شفاف غازي، فإذا جاور سطحاً بارداً ثقل وتكاثف فصار ضباباً أو ندى أو سحاباً، وإنما تكاثف لأن أجزاء البخار تتجمع فتقل قدرة الهواء على حمله، فإذا تكامل اجتماعه نزل مطراً، ولكون البخار الصاعد إلى الجو أكثر بخار البحـر، لأن البحر أكثر الكرة الأرضية، كانت السحب أكثر ما تتكون من جهة البحار"[3].

"فالسحاب عبارة عن تجمعات من بخار الماء المكثّف في الجو بشكل قطيـرات مائيـة دقيقة، وقد تختلط بها جزيئات دقيقة من الثلج إذا كانت درجة الحرارة في مستوى السحب دون درجة التجمد، ولا تختلف السحب المكونة من قطيرات مائية في مظهرها وتركيبها العام كثيـراً عن الضباب، والفرق هو أن السحاب على ارتفاع في الجو، أما الضـباب فهـو فـوق سـطح الأرض أو البحر مباشرة"[4].

---

1 سورة الأعراف، الآية 57 .

2 لسان العرب، (185/6).

3 التحرير والتنوير، (87/2) .

4 شرف، الجغرافيا المناخية والنباتية، ص 198 .

وقد قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ . . . وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

"ومعنى السحاب المسخّر:أي الغيم المذلل، وتسخيره بعثه من مكان إلى آخـر، وقيـل: تسخيره ثبوته بين السماء والأرض من غير عمد ولا علائق، والأول أظهر[2]، وذلك أن طبـع الماء ثقيل يقتضي النزول، فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف طبعه، بمهلك لغيره، وأيضا لو دام لعظم ضرره من حيث أنه يستر ضوء الشمس، ويكثر الإيذاء والأخطار ويتعذر التردد فـي الحوائج، ولو انقطع لعظم ضرره لاستلزامه الجدب والإهمال، فكان تقديره بالمقـدار المعلـوم والإتيان به في وقت الحاجة، ودفعه عند زوالها بمدبر ومسخر لإعماله[3] وقـد يكـون بمـاء وبعذاب.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي صلى ا عليه وسلم أنـه قـال: (بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة، اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السـحاب فأفرغ ماءه في حره[4]، فإذا شَرجه[5] من تلك الشِراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع المـاء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته[6]، فقال له: يا عبد ا ما اسمك ؟ قـال: فـلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد ا لِم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتا

---

1 سورة البقرة، الآية 164 .

2 تفسير القرطبي، (134/2).

3 تفسير غرائب القرآن، (458/1).

4 الحرة: الأرض ذات الحجارة السود، وتجمع على حِراء، ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: خليل مأمون شيما، دار المعرفـة، لبنـان، ط1، 2001م، (357/1).

5 الشراج: مسيل الماء من الحرة الى السهل، وهي جمع شَرجة، النهاية في غريب الحديث، وانظر: الزمخشري، جاد ا محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ط1، 1996، (191/2).

6 مسحاة: المجرفة من الحديد، النهاية في غريب الحديث، (657/2).

في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لإسمك فما تصنع فيها: قال: أما إذ قلت هـذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه" [1].

أقول: إن هذه السحابة مسخرة من ا عز وجل لهذا الرجل بفضل صدقه وإحسانه إلى المساكين، وا قادر على تسخير السحاب في أي وقت حتى ولو كان في غير وقت المطر.

"بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون: أي لا يسقط ولا يرتفع مع أن الطبع يقتضـي أحدهما، أو مسخّر للرياح، تُقلبه في جو السماء بمشيئة ا . لآيـات لقـوم يعقلـون: أي تلـك المخلوقات آيات دالّة على وحدانيته تعالى، وبأمر قدرته"[2].

"فهؤلاء القوم هم الذين ينظرون في أسبابها، ويدركون حِكمها وأسرارها، ويميزون بين منافعها ومضارها، ويستدلّون بما فيها من الإتقان والإحكام، على قدرة مبدعها وحكمته، وعلـى استحقاقه للعبادة دون غيره، وبقدر ارتقاء العقل في العلم والعرفان، يكمل التوحيد في الإيمـان، وإنما يشرك با أقل الناس عقلاً وأكثرهم جهلاً"[3].

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ . . . ﴾[4].

ذكرنا فيما سبق معنى بشراً: أي تُبشر بالمطر والرحمة. "بين يدي رحمته: أي بين يدي المطر الذي هو رحمته، وحسن هذا المجاز أن اليدين تستعملها العرب في معنى التقدمة علـى سبيل المجاز. يقال أن الفتن تكون بين يدي الساعة يريدون قبلها، وذلـك لأن يـدي الإنسـان متقدمتان، فكل ما يتقدم شيئا يطلق عليه لفظ اليدين مجازاً لهذه المشابهة، كما تقول لمن أحسـن

1 صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد ـ باب الصدقة على المساكين، (2288/4)، حديث رقم 45 .

2 ابن عجيبة الحسني، أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (ت 1224 هـ)، تحقيق: عمر احمد الراوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (1/ 165)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: البحر المديد.

3 تفسير المنار، (63/2) .

4 سورة الأعراف، الآية 57 .

إليك وتقدم إحسانه: له عندي إيادٍ. ولما كانت الرياح تتقدم المطر عبر عنها بهذا اللفظ، غير أن هذا التقدم لا يحصل في جميع الأحوال"[1].

"حتى إذا أقلّت سحاباً ثِقالاً: أقلّت:من أقلّ فلان الشيء، أي حمله ورفعه، أي حتـى إذا حملت الرياح سحاباً ثقالاً بالماء الذي صارت تحمله"[2].

"واشتقاق الإقلال من القلّة، لأن الرافع المطيق يرى الذي يرفعه قليلاً"[3].

"سقناه لبلد ميت: أي السحاب. السوق: حث الشيء في السير حتى يقع الإسـراع فيـه، يقال: ساقه واستاقه"[4].

"لبلد ميت: أي مجدب ليس فيه نبات. وقيل: اللام هنا للعلة، أي لأجل بلد ميت، والبلـد هو الموضع العامر من الأرض"[5].

"فأنزلنا به الماء: أي بالبلد الذي سقناه لأجله أو بالسحاب، أي أنزلنا بالسحاب الماء الذي تحمله، أو بالريح: أي فأنزلنا بالريح المرسلة بين يدي المطر الماء. وقيل: الباء هنا بمعنى من، أي: فأنزلنا منه الماء".

---

1 اللباب في علوم الكتاب، (168/6) بتصرف .

2 الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، طبعة جديـد ومصححة مأخوذة عن دار الكتب المصرية، دار الخير، 1991م (246/2)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: فتح القدير.

3 الزمخشري، أبي القاسم، جاد ا محمود بن عمر بن محمد (467 ـ 538 هـ ـ)، منشـورات محمـد علـي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ/1995م، (2/ 107)، وسيشار إليه عند إعـادة ذكـره هكذا: الزمخشري.

4 الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل، مجمع البيان في تفسير القرآن، وضع حواشيه وخرج آياتـه وشواهده: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علـي بيضـون، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، (93/4). وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: الطبرسي، مجمع البيان.

5 فتح القدير، (2/ 246) .

"فأخرجنا به من كل الثمرات: أي فأخرجنا بهذا الماء المنزل، أو بهذا البلد. مـن كـل الثمرات، أي من جميع أنواعها.

كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكـّرون: أي مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات نُخرج الموتى من القبور يوم حشرهم، لعلكم تتذكرون فتعلمون بعظيم قدرة ا وبديع صـنعته، وإنـه قادر على بعثكم كما قدر على إخراج الثمرات التي تشاهدونها[1].

"لقد ضرب ا للناس هذا المثل: من إحياء البلد الميت بالمطر الذي يأتي به السـحاب، الذي تنشره الرياح، ليعتبروا ويعلموا أن ا الذي فعل هذا قادر على إحياء الموتى بعد فنائهـا، وإعادتها خلقاً سوياً"[2].وقد جاء في السنة النبوية ما يوضح هذا الكلام ويبين لنا كيفية إحياء ا عز وجل للأموات.

"فعن أبي هريرة رضي ا عنه عن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: (مـا بـين النفختين أربعون) قالوا: يا أبا هريرة:أربعون يوما؟ قال: أبيت[3]، قالوا: أربعون شهراً ؟ قـال: أبيت، قالوا: أربعون سنة ؟ قال: أبيت، قال: ثم ينزل ا من السماء ماء فينبتـون كمـا ينبـت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة"[4].

---

1 المصدر نفسه، (246/2).

2 الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. هذبه وقربـه وخدمه د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، خرج أحاديثه إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشـق، الـدار الشـامية، بيروت، (3/ 626)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: تفسير الطبري .

3 معناه: أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوماً أو سنة، أو شهراً، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملـة، وقـد جاءت مفسرة من رواية غيره، في غير مسلم أربعون سنة، صحيح مسلم (91/18، 92).

4 صحيح مسلم بشرح النووي، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب مـا بـين النفختـين، الـدار الثقافيـة العربيـة، بيروت، ط1، 1930م، (91/18) .

أما عن أنواع السحاب فيحدثنا القرآن الكريم عن السحاب، مبيناً أنواعه في عدة آيـات، ويكون بذلك قد سبق العلم الحديث في بيانها شارحاً ومفصلاً لها في سطور قليلـة. وكـل مـا توصل إليه العلماء والباحثون إنما هو قطرة في بحر العلوم المودعة في القرآن الكريم.

[1] السحاب الركامي:

السحاب الركامي: لقد أطلق العلماء على هذا النوع من السحاب اسم السحاب الركامي، وهذه التسمية مأخوذة من النص القرآني، حيث يقول تعالى:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[1].

ومعنى الآية: أن ا تعالى يسوق على مهل سحاباً أثارته الرياح على هيئة دقائق مائية بحالتين متضادتين، بينهما تجاذب طبيعي، ثم يؤلف بينه، أي بين الـدقائق السـحابية ويجعـل بعضها فوق بعض، فتتجمع الدقائق المتضادة تحت تأثير التجاذب بينها وتسـقط مطـراً، مـع حدوث البرق والرعد والصواعق. يشير ا تعالى في الشطر الأخير من هذه الآية أنه "ينزل من السماء من جبال"، والمقصود به السحاب المؤلف المركوم في الجو العاصف قطعاً جامدة مـن الماء أو البرد، ويكون في هذا السحاب برق يكاد ضوؤه يخطف الأبصار[2].

يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾[3].

فيبين بذلك أنه يحدث مع إنشاء السحاب الثقال في الجو العاصف (السحاب الركـامي) برقا ورعداً.

---

[1] سورة النور، الآية 43 .

[2] التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، ص 370 بتصرف.

[3] سورة الرعد، الآية 12 .

"فأطلق الإزجاء على دنو بعض السحاب من بعض بتقدير ا تعالى الشبيه بالسوق حتى يصير سحاباً كثيفاً. فانضمام بعض السحاب إلى بعض عبر عنه بالتأليف بـين أجزائـه بقولـه تعالى: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾"[1].

"يعني: يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض، ليقوى ويتصل ويكثف"[2].

"ثم يجعله ركاماً: أي متراكماً، أي يركب بعضه بعضاً"[3] وركم الشيء: إذا جمعه وألقى بعضه على بعض"[4].

"فإذا تراكم السحاب بعضه على بعض حدث فيه ما يسمى في علم حوادث الجو بالسيال الكهربائي وهو البرق[5].

"فترى الودق: أي المطر يخرج من خلاله: من فتوقه التـي هـي مـن ريـح القطر[6]، والخلال جمع خَلَل كجبل وجبال، وهي الفرجة بين شيئين"[7].

"وينزل من السماء: كل سقف هو سماء، ومن هذا القبيل قيل للسحاب: السـماء لأنهـا عالية، والسماء كل ما علا فأظلك[8].

"من جبال: من قطع عظام تُشبه الجبال.

فيصيب به من يشاء: أي يصيب بما ينزل من البرد.

---

1 التحرير والتنوير، (26/8.) .

2 معالم التنزيل (48/4)، فتح القدير، 48/4)، القرطبي، (190/12) .

3 ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل (ت 774 هـ)، تفسير ابن كثيـر، دار الفكـر، 1410هـ ـ/ 1981م، بيـروت، (298/3).

4 لسان العرب، (305/5)، وانظر: مختار الصحاح، ص 255 .

5 التحرير والتنوير، (261/8).

6 مختار الصحاح، ص 187 .

7 المفردات، ص 187 .

8 لسان العرب، (378/6).

من يشاء:أي يصيبه من عباده ويصرفه عمن يشاء: منهم فيكون بإصابته نقمة لما فيـه من نثر ثمارهم وإتلاف زروعهم وأشجارهم، ويصرفه عمن يشاء رحمة بهم.

يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار: السنا مقصوراً أي ضـوء البـرق، والسـنا الممـدود: الرفعة، أي يكاد ضوء البرق الذي في السحاب يذهب بالأبصـار مـن شـدة بريقـه وزيـادة لمعانه"[1].

في الآية حقائق علمية لم يتوصل لها إلا حديثا، وهذه معجزة للقرآن الكريم، فالسـحب الركامية هي وحدها التي تجود بالبرد " من جبال فيها من برد" فبعد أن تتكون نقط المطر تعمل تيارات الهواء الصاعد على حملها إلى مناطق التجمد في ارتفاعات شاهقة تنخفض فيها الحرارة إلى 40 أو 50 درجة مؤية تحت الصفر، فتتحول نقط المطر إلى ثلج، وتتجمع حولها أغشية من بلورات الثلج التي تحولت إلى جليد، فيجتمع بعضها إلى بعض عن طريـق التصـادم، فتنمـو ويزداد حجمها، بحيث لا يقوى الهواء على حملها فتسقط على شكل برد[2].

والبرد هو المسؤول عن تلك الشحنات الكهربائية التي تُسبب عواصف البرق والرعـد، لأن الضمير في الآية عائد على البرد، أي يصيب بالبرد من يشاء، ويصرفه - يصرف البـرد - عمن يشاء، يكاد سنا برقه: سنا برق البرد[3].

والبرق لا يتولّد إلاّ من هذه السحب، ويتكون من انصهار المكونات الثلجية في السحابة الركامية، وتكتسب هذه المكونات الثلجية شحنات كهربائية، وفـي التفريـغ للشـحنات يحـدث البرق[4].

---

1 ابن كثير، (98/3)، التحرير والتنوير، (262/18)، فتح القدير، (49/4) .

2 طبارة، عفيف عبد الفتاح، روح القرآن الكريم، تفسير سورة النور، دار العلم للملايين، ط1، ص 94، 1993م، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: طبارة، ورح القرآن الكريم.

3 الزنداني، عبد المجيد، العلم طريق الإيمان، مكتبة القرآن الكريم، القاهرة، أعدها للنشر وقدم لها محمد إبراهيم، ص 108 بتصرف.

4 طبارة، روح القرآن الكريم، ص 96 .

"والبرق يتكون من انصهار المكونات الثلجية في السحابة الركامية، وتكتسب هذه المكونات الثلجية شحنات كهربائية، وفي التفريغ للشحنات يحدث البرق"[1].

"وتشبيه الركامية بالجبال إشارة إلى ضخامة القوى الكهربائية المشتركة في تكوين البرد، والبرد لا ينزل إلا من هذا الشكل الجبلي الركامي، والذي يزيد من الإيحاء بهول حجم هذا النوع من السحب لفظ [من] الذي يدلّ على أن كلّ هذه الكميات التي تنزل من [البرد] ما هي إلاّ [من] مكونات هذه السحب"[2]. ومن السحابة الركامية ينزل البرد والثلج والزخات الشديدة.

إن تشبيه هذه السحب بالجبال معجزة القرآن، فالسحب الركامية تنمو في الاتجاه الراسي، وترتفع قممها إلى علو 15 أو 20 كيلومترا فتبدو كالجبال الشامخة، ولا يعرف هذا التشابه إلا من يركب طائرة تعلو به فوق السحاب، ولم تكن الطائرات في عصر محمد صلى ا عليه وسلم[3].

[2] السحاب البساطي:

وهناك نوع آخر من السحب ذكره القرآن الكريم وهي: السحب البساطية، وهذه التسمية مأخوذة من الآية الكريمة:

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

---

1 عبد الصمد، محمد كامل، الإعجاز العلمي في القرآن، الدار المصرية اللبنانية، ط4، 1997م، ص 112 .

2 خضر، عبد العليم عبد الرحمن، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، الدار السعودية، ص 24 ـ 25 .

3 طبارة، روح القرآن الكريم، ص 96 .

4 سورة الروم، الآيات 48 ـ 50 .

"فيبسطه في السماء كيف يشاء: أي يمده فيكثره وينميه، ويجعل من القليل كثيراً، فينشئ سحابا ترى رأي العين مثل الترس، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالاً مملوؤة [1] كما في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

"ويجعله كِسفاً: يعني قطعاً، والكِسف جمع كِسفة، والكِسفة القطعة من السحاب.

فترى الودق: أي المطر. يخرج من خلاله: من وسط السحاب.

فإذا أصاب به: أي المطر. من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون: يعني يفرحون بنزول المطر عليهم"[3].

"وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين: أي من قبل أن ينزل عليهم المطر. من قبله لمبلسين: أي آيسين. وكرر من قبله: للتوكيد، وفائدته الإعلام بسرعة تقلّب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار، أو: على أن عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم يأسهم، فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك"[4].

---

1 تفسير ابن كثير، (438/3).

2 سورة الأعراف، الآية 57 .

3 السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تفسير السمرقندي بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، (15/3 ـ 16) .

4 البحر المديد، (454/5) .

"فانظر إلى آثار رحمة ا : الناشئة عن إنزال المطر من النبات والثمار والزرائع التـي بها يكون الخصب والرخاء، أي نظر اعتبار واستبصار لتستدل بذلك على توحيـد ا وتفـرده بهذا الصنع العجيب"[1].

كيف يحيي الأرض: بالنبات وأنواع الثمار. بعد موتها: يبسها. إن ذلك: أي القادر عليه. لمحيي الموتى: أي القادر على إحيائهم في الآخرة وبعثهم ومجازاتهم كما أحيا الأرض الميتـة بالمطر[2].

"وهو على كل شيء قدير: أي عظيم القدرة، وهذا من جملة مقدوراته"[3].

لقد فصلت لنا هذه الآية كيفية تكون هذا النوع من السحاب، وقـد سـبقت هـذه الآيـة وغيرها من آيات القرآن الكريم بمئات السنين ما توصل إليه العلماء اليوم، فقد أطلقوا على هذا النوع اسم السحاب الطبقي (الـبساطي) "وهي سحب تظهر بشكل طبقـة مخططـة أو قاتمـة بساطية، أو بشكل رقعة أو مربع أو كروية، أو اسطوانية تكون في مجموعات أو في صفوف أو في مجموعات ذات شكل تموجي، وكثيراً ما يتصل ببعضها لتتكون منها طبقة مموجة، وتتخللها فجوات تبدو منها زرقة السماء واضحة، وهي من السحب التي يصاحبها هطول مطر متصل أو متقطّع، سواء من الماء ـ المطر ـ أو الثلج أو البرد. ولكن عادة يصـاحبها هطـول مطـر متقطّع"[4].

قلت: وهذا السحاب إذا رآه الناس استبشروا، لأن السحاب الركامي فيه رعـد وبـرق وعواصف، أما هذا النوع (السحاب البساطي) ففيه مطر سهل من غير رعـد وبـرق وخـوف واحتمال عذاب.

1 فتح القدير، (265/4) .

2 المصدر نفسه، (265/4).

3 المصدر نفسه، (4/ 265) .

4 شرف، الجغرافيا المناخية والنباتية، ص 2.5 .

" إن هذه الآيات بمجموعها تُعتبر من الدلائل على قدرة ا عز وجل، وأثر مـن آثـار رحمته تعالى، فمن الدلائل إرسال الرياح مبشرات بالمطر، لأنها تتقدمه فتُحرك الغيوم وتنقلهـا من مكان لآخر، ثم ينشرها ويجمعها في الجو على وفق مشيئته وإرادته، ويجعلها قطعاً متفاوتة الأحجام والأوزان والنوعية، تارة تكون خِفافاً، وتارة تُصبح ثِقالاً مملوءة بالمـاء، فـإذا أنـزل المطر على بعض العباد فرحوا بنزول المطر. وكانوا قبل نزول المطر عليهم يائسين حـزينين لاحتباس المطر عنهم. وأكّد تعالى وجود ظاهرة اليأس قبل إنزال المطر، ليدل على شدة حـال الناس، ثم تغيرها إلى حال البِشر والفرح.

ومن آثار رحمة ا تعالى الغيث، فهو رحمة من ا لعباده ليخرجوا من دائرة اليـأس إلى دائرة الفرح والبِشر، فنزول المطر يستدعي الخصب بإنبات الزروع والثمار، التي بها حياة الناس والأنعام. والنتيجة لإنزال المطر هي الدلالة على أن من قدر عليه قـادر علـى إحيـاء الموتى"[1].

---

[1] الزحيلي، د. وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، بيروت، (21/ 108)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: التفسير المنير .

ـ المبحث الثالث:

بعض دواعي نزول المطر وموانعه

إنها رحمة ا عز وجل بعباده، إذ أنزل عليهم هذا الماء من السماء، فأحيا بـه الأرض والناس والأنعام، فقد أطلق ا اسم الرحمة على المطر، لأن ا يرحم به العباد، فيغاثون بعـد الجفاف، ويستبشرون به بعد الإياس، والآيات في هذا عديدة، قال تعالى:

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ[1]. وقال أيضا: *وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ*[2]. وغيرها من الآيات.

وقد جعل ا عز وجل دواعي تستدعي نزول المطر كما جعل في المقابل موانع تمنـع نزول المطر منها:

المطلب الأول: الاستغفار:

"الاستغفار طلب المغفرة من ا عن الذنوب والآثام، والشرك والكفر، وطلب المغفـرة بالتوحيد والطاعة، لأن الاشتغال بالطاعة يكون سبباً عظيماً لاتساع الخير، وسعة الـرزق، وأن الكفر والعصيان سبب لهلاك الدنيا والدين"[3].

قال تعالى:

*فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا*[4].

---

1 سورة الأعراف، الآية 57 .

2 سورة الروم، الآية 46 .

3 البحر المديد، (145/8) .

4 سورة نوح، الآيات 10 - 12 .

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[1].

جاء الأمر في الآيتين بقوله: * استَغْفِروا ربكُم *، أي إذا استغفرتم ربكم فإنه * يرسل السماء عليكُم مِدرارًا *.

وانظر إلى كلمة يرسل، والسماء، هنا المطر أو السحاب الممطر، وإرساله أمطاره، وأرسل من رسل ورسول أي الرسالة، والمرسلات الرياح، ويرسل السماء، أي يرسل السحاب بالمطر، يرسله ا إلى من يستحق". ومدرارا: من در الضرع باللبن، والريح تُدر السحاب، و(تستدره) أي تستحلبه، وسماء (مدرار) تُدر بالمطر"[2].

ولتفسير الآية نعرض ما جاء في كتب التفسير:

"فَقُلْتُ استَغْفِروا ربكُم: أي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة، بإخلاص الإيمان.

إنه كان غَفارًا: وهذا منه ترغيب في التوبة [3].

وقال ابن كثير: " أي ارجعوا إليه، وارجعوا عما أنتم فيه، وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت من الكفر والشرك، ولهذا قال: فَقُلْتُ استَغْفِروا ربكُم إنه كان غَفارًا "[4].

ويقول صاحب الظلال: " أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم فهو سبحانه غفار الذنوب، فَقُلْتُ استَغْفِروا ربكُم إنه كان غَفارًا، وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور من أسبابه التي يعرفونها ويرجونها، وهي المطر الغزير، وقد ربط بين الاستغفار وهذه الأرزاق. وفي

---

1 سورة هود،الآية 52 .

2 مختار الصحاح، ص 242، 202 .

3 تفسير القرطبي، (195/18) .

4 تفسير ابن كثير، (426/4) .

القرآن الكريم مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هـدى ا وبين تيسير الأرزاق"[1].

وجاء في تفسير النسفي: فَقُلْتُ استَغْفِروا ربكُم من الشرك، لأن الاستغفار طلب المغفرة، فإن كان المستفرغ كافراً فهو من الكفر، وإن كان عاصيا مؤمناً فهو من الذنوب"[2].

وقال الأوزاعي:" خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد، فحمد ا وأثنى عليـه ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: ما علَى الْمحسِنِين مِن سبِيلٍ[3] وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكـون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا. وقال ابـن أصبيح: شكا رجل إلى الحسن البصري الجدوبة فقال له استغفر ا ، وشكا آخر إليه الفقر، فقال له استغفر ا ، وقال له آخر: ادع ا أن يرزقني ولداً، فقال له: استغفر ا ، وشكا إليـه آخـر جفاف بستانه فقال له: استغفر ا ، فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئاً، إن ا يقول وتلا الآية"[4].

و يرسِلِ السماء علَيكُم مِدرارًا: أي يرسل ماء السماء، ففيه إضـمار، وقيـل السـماء المطر، أي يرسل المطر.

"ومدراراً: ذا غيث كثير"[5]. "ومدراراً كثيرة الدرور، ومفعال مسـتوي فيـه المـذكّر والمؤنث"[6].

---

1 في ظلال القرآن، (3713/6) .

2 النسفي، أبو البركات، عبد ا بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، (295/3)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: تفسير النسفي.

3 سورة التوبة، الآية 91 .

4 تفسير القرطبي، (197/18) .

5 المصدر نفسه، (18/ 195) .

6 تفسير النسفي، (4/ 295) .

وقال ابن كثير: "يرسل السماء عليكم مدراراً أي متواصلة الأمطار، ولهذا استحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية[1].

وفي سورة نوح جاءت النعمة من ا : ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[2].

أي إذا تبتم إلى ا واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسـقاكم مـن بركـات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأدر لكم الضرع، وأعطاكم الأموال والأولاد، وجعـل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها[3].

وفي سورة هود قال: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[4].

وجاء في تفسير القرطبي: قال مجاهد: "شدة إلى شدتكم، الضحاك: خصبا إلى خصبكم. علي بن عيسى: عزاً على عزكم. عكرمة: ولداً إلى ولدكم"[5].

ويقول صاحب الظلال: "وننظر في هذا الوعد، وهو يتعلق بإدرار المطـر ومضـاعفة القوة، وهي أمور تجري فيها سنّة ا وفق قوانين ثابتة في نظام هذا الوجود، مـن صـنع ا ومشيئته بطبيعة الحال، فما علاقة الاستغفار بها، وما علاقة التوبة؟. فأما زيادة القوة فالأمر فيها قريب ميسور، بل واقع مشهود، فإن نظافة القلب والعمل الصالح في الأرض يزيـدان التـائبين العاملين قوة، يزيدانهم صحة في الجسم بالاعتدال والاقتصار على الطيبات من الرزق، وراحـة الضمير، وهدوء الأعصاب والاطمئنان إلى ا ، والثقة برحمته في كل آن، ويزيدانهم صحة في المجتمع سيادة شريعة ا الصالحة التي تطلق الناس أحرارا كراماً لا يدينون لغير ا على قدم

---

1 تفسير ابن كثير، (426/4).

2 سورة نوح، الآية 12 .

3 تفسير ابن كثير، (426/4).

4 سورة هود، الآية 52 .

5 القرطبي، (9/ 35) .

المساواة بينهم أمام قهار واحد تعنو له الجباه. كما تطلق طاقات الناس ليعملوا وينتجوا ويـؤدوا تكاليف الخلافة في الأرض، غير مشغولين ولا مُسخّرين بمراسم التأليه للأربـاب الأرضـية، وإطلاق البخور حولها ودقّ الطبول والنفخ فيها ليل نهار لتملأ فراغ الإله الحـق فـي فطـرة البشر"[1].

ثم يقول: " فأما إرسال المطر مدراراً فالظاهر للبشر أنه يجري وفق سنن طبيعية ثابتـة في النظام الكوني، ولكن جريان السَّنن الطبيعية لا يمنع أن يكون المطر محييا في مكان وزمان، ومدمراً في مكان وزمان، وأن يكون من قَدر ا أن تكون الحياة مع المطر لقـوم، وأن يكـون الدمار معه لقوم، وأن ينفذ ا تبشيره بالخير ووعيده بالشر عن طريق توجيه العوامل الطبيعية، فهو خالق هذه العوامل، وجاعل الأسباب لتحقيق سنّته على كل حال"[2].

وحول الربط بين الاستغفار وإدرار الماء وزيادة القوة والنِعم يقول: " إنها حقيقة العلاقة بين القيم الإيمانية والقيم الواقعية في الحياة البشرية، وحقيقة اتصال طبيعة الكـون ونواميسـه الكُلّية بالحق الذي يحتويه هذا الدين"[3]. وقد علمنا رسول ا صلى ا عليه وسلم كيف نستغفر ا ، لأن أبواب السماء مرتبطة بدعاء العباد وإخلاصهم.

وسيد الاستغفار ما رواه البخاري عن النبي صلى ا عليه وسلم قال: (سيد الاسـتغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنـه لا يغفـر الذنوب إلا أنت. قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهـل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)[4].

---

1 في ظلال القرآن، (4/ 1897) .

2 المصدر نفسه، (4/ 1898) .

3 في ظلال القرآن، (1903/4) .

4 البخاري، مع الفتح، كتاب الدعوات ـ باب أفضل الاستغفار رقم 6306، ج12، ص 375 . والترمذي، كتـاب الدعوات، باب 15، رقم 3393، (467/5) .

المطلب الثاني: الإيمان والتقوى:

قال تعالى:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1].

هذا هو الشرط، وهو مؤلف من عنصرين هما: الإيمان والتقوى، أي الإيمان الصـحيح با ، بعناصر القاعدة الإيمانية التي أمر ا بالإيمان بها فيما أنزل على رسله. واتقاء عِقاب ا بأداء الواجبات التي أوجبها عليهم، وبترك المحرمات التي حرمها عليهم في أحكام الدين الـذي اصطفاه لهم"[2].

وقوله تعالى: *ولَو أَن أَهلَ الْقُرى*: يقال للمدينة قرية لاجتماع الناس فيها من قريـت الماء إذا جمعته [3].

ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا * ءامنُوا * بـدل كفـرهم، و* واتقَـوا *: الشرك[4].

قوله تعالى: *لَفَتَحنَا علَيهِم* فيها قراءات: قرئت بالتخفيف والتشديد، فالحجة لمن خفف أنه أخذه من فتح يفتح إذا فعل ذلك مرة واحدة. والحجة لمن شدد أنه أراد مرة بعد مرة، لقوله تعالى: *بركَاتٍ مِن السماءِ *، ولم يقل بركة[5].

---

1 سورة الأعراف، الآية 96 .

2 الميداني، عبد الرحمن حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، (438/4)، وسيشار إليـه عنـد إعادة ذكره هكذا: معارج التفكر .

3 تفسير القرطبي، (161/4) .

4 تفسير النسفي، (66/2) .

5 الحجة في القراءات السبع، ص 87 .

فالقراءتان متكاملتان في أداء المعنى المراد، أي: فمن كان إيمانهم وكانت تقواهم مـن درجة المقبول، أو من درجة الجيد، فتحنا، أما من بلغوا في ذلك درجة الجيد جـداً أو الممتـاز فتحنا تفتيحاً زائداً ومضاعفاً[1].

" بركات من السماء والأرض: بركات: أي زيادات كثيرة، جمع بركة، وهـي النمـاء والزيادة "[2].

" إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى بركات في الأشياء، وبركات في النفـوس، وبركات في المشاعر، وبركات في طيبات الحياة، وبركات تُنمي الحياة وترفعها في آن، وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال"[3].

من السماء والأرض: أي تأتيهم من جهة السماء والأرض، فمن جهة السـماء تـأتيهم الطاقة الضوئية والحرارية، وما ينزل عليهم من السماء من ماء وأشياء أخـرى، ومـن جهـة الأرض: ما يخرج من الأرض من زروع وثمار ومعادن وغيرها"[4].

" ولقد دلّت الآية على أن الرخاء الاقتصادي طريقه الإيمان والتقوى، طريقه طاعـة ا والالتزام بشرعه، لا كما توسوس شياطين الإنس والجن موجهة بزخرف قولها أن الرخاء فـي تطبيق مبادئ أمم الكفر الاقتصادية، مما يلغي شرع ا أو يعطله أو يخالفه"[5].

أقول: فالإيمان با وتقواه منهاج حياة كامل لا بد من أن تسير عليه البشرية ولا تحيـد عنه، فمن يتصور بأن الإيمان با وتقواه مسألة تعبدية بحتة ليس له صلة بواقعنـا إنمـا هـو مخطئ، ويدل على ذلك الآيات القرآنية العظيمة التي تشهد بذلك.

---

1 معارج التفكر، (438/4).

2 مختار الصحاح، ص 49 .

3 في ظلال القرآن، (1339/3) بتصرف.

4 معارج التفكر، (439/4).

5 حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، الأردن، ط2، 1989م (1961/4)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: الأساس في التفسير.

" والقاعدة التي أقرها القرآن الكريم أن الإيمان الصحيح، ودين الحق سبب في سـعادة الدنيا"[1].

"إن الإيمان با دليل على حيوية في الفطرة، وسلامة في أجهزة الاسـتقبال الفطريـة، وصدق في الإدراك الإنساني، ورحابة في مجال الإحساس بحقائق الوجود، وهـذه كلهـا مـن مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية.

والإيمان با قوة دافعة دافقة، تعمل لتحقيق مشيئته فـي خلافـة الأرض وعمارتهـا، والإيمان با تحرر من العبودية للهوى، ومن العبودية للعبيد، فتجعله أقدر على الخلافة. وتقوى ا يقظة واعية تصون من الاندفاع والتهور والشطط والغرور في دفعة الحركة ودفعة الحيـاة، وتوجه الجهد البشري في حذر وتحرج، فلا يعتدي ولا يتهـور، ولا يتجـاوز حـدود النشـاط الصالح".

ويتابع: "وحين تسير الحياة متناسقة بين الدوافع والكوابح، عاملة في الأرض، متطلعـة إلى السماء، متحررة من الهوى والطغيان البشري، عابدة خاشعة ، تسير سيرة صالحة منتجة تـستحق مدد ا بعد رضاه، فلا جرم تحفّهـا البركة ويعمها الخير، ويظلها الفلاح. والمسـألة ـ من هذا الجانب ـ مسألة واقع منظور، إلى جانب لطف ا المستور، واقع له علله وأسـبابه الظاهرة، إلى جانب قدر ا الغيبي الموعود"[2].

---

1 تفسير المنار، (9/23ـ22).

2 في ظلال القرآن، (3/1338، 1340) بتصرف.

المطلب الثالث: الزكاة:

"والزكاة: النمو الحاصل عن البركة من الله تعالى، ويعتبر ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية"[1].

يقول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2].

قال الضحاك:"هو شرط شَرطه الله عز وجل على من آتاه الملك، وعلّق القرطبي على كلام الضحاك قائلا وهذا حسن"[3].

إن الله يأخذ شرطاً على من أتاه المُلك، ملك الحياة والتمكين بالمياه، أن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، وإقام الصلاة، من الإيمان والتقوى، وهي منها، بل لا إيمان لمن لا يصلي، أما الزكاة فهي الشكر المالي، أو العبادة المالية التي يشكر بها العبد الله سبحانه وتعالى، ويستسلم لشرطه، فإن لم يلتزم بالشرط فإن الله تعالى سيسلب منه هذا التمكين، فعن عبد الله بن عمر، قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولن ينقصوا المكيال والميزان ألاّ أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلاّ منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا. ولم ينقضوا عهد الله ورسوله ألاّ سلّط عليهم عدواً من غيرهم،

---

[1] المفردات، ص 213 .

[2] سورة الحج، الآية 41 .

[3] تفسير القرطبي، (49/13) .

فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم"[1].

ونفهم من نص الحديث أنهم - أي الناس - المؤمنين إذا منعوا الزكاة مُنِعوا القطر، أو قل الناس المنتسبين للإسلام، ويريدون أن ينصرهم الله من عنده فلا بد أن يؤدوا حق المال.

"فإن أدوا حق المال وانتصروا على شُح النفس وتطهروا من الحرص، وغلبوا وسوسة الشيطان، وسدوا خِلة الجماعة، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج يعدهم الله بنصر وتمكين من عنده"[2].

وفي الحديث: (ولولا البهائم لم يمطروا).

وفي التنزيل العزيز ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[3].

الجرز: هي الأرض التي لا تُنبت، وقيل الأرض التي لم يصبها مطر[4].

* تَأْكُلُ مِنْه أَنْعامهم *: الأنعام تأكل من الكلأ والعُشب، والناس تأكل من الحب والخضر والفواكه، وتأكل لحم الأنعام التي تغذّت على الزرع الذي أنبته الله بالماء.

فمن أسباب نزول المطر: الأنعام، وهي البهائم والدواب، هذا الحديث يبين لنا كيف أن الناس وإن منعوا حق المال فإنهم قد يمطروا، وإنما يمطروا لا لذاتهم وإنما لأجل هذه

1 صحيح الجامع - باب منع الزكاة، الحديث (10)، ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزياداته، جلال الدين السيوطي، يوسف النبهاني، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1987م،(64/3)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: صحيح الجامع. وصحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، تأليف:محمد ناصر الدين الألباني، أشراف زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط1، 1986، ط3، 1988، (183/2) .

2 في ظلال القرآن، ج4، ص 2428 .

3 سورة السجدة، الآية 27 .

4 لسان العرب، (247/2).

المخلوقات التي لا ذنب لها فتًصيبهم رحمة ا عز وجل التي تصيب الخلائق: (ولولا البهـائم لم يمطروا)[1].

1 سبق تخريجه.

ـ المبحث الرابع:

المطلب الأول: الماء في العقيدة

إن ا سبحانه وتعالى خلق هذا الكون وسخّره لنا، على نحـو يتوافـق مـع طبيعتنـا وتكويننا، فنعم ا علينا كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، لذا تستوجب منا الشكر علـى هـذه الـنعم، والقرآن الكريم يشتمل على الكثير من الآيات التي تُبين لنا قدرة ا عز وجل ووحدانيته، وأنـه الخالق المبدع الصانع، وسنعرض بعض الأمثلة التي تدلّ على قدرته عز وجل وعظيم خلقه.

[1] فأولها: إنزال الماء من السماء، ففيه دلالة على أن ا هو الخالق المبدع الواحد القهار. قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴾[1].

ولا ريب أن في إنزال الماء دلالات على الصانع ووحدانيته، حيث جعلـه فـي غايـة الصفاء واللطافة والعذوبة، وصيره سببا للأرزاق وأنزله بعد قنوط الناس منه وشدة إليه، وأودع في نزوله حياة الأرض أي حسنها ونضارتها بخروج أصناف النبات، وضـروب الأعشـاب، وألوان الأزهار، وأنواع الأشجار، وجريان الجداول بينها والأنهار[2].

[2] الماء آية تدل على أن ا وحده هو الخالق للسماء والأرض، أنزل من السماء ماء أنبت به الحدائق التي تسر الناظرين، وهو الذي جعل الأرض قراراً، وسير خلالها الأنهـار وثبتهـا بالجبال.

---

1 سورة إبراهيم، الآية 32 .

2 تفسير غرائب القرآن(458/1).

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

[3] الماء يدل على كمال قدرة الله عز وجل: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[2].

" إن الله تعالى أنزل من السحب المرتفعة في جو السماء ماءً كثيرا، فأدخله بقدرته في عيون ومسارب في الأرض، هذه العيون والمسارب تارة تكون ظاهرة على وجه الأرض، وتارة تكون في باطنها، وكل ذلك من أعظم الأدلّة على قدرة الله تعالى ورحمته بعباده.

ثم بين سبحانه مظهرا آخر من مظاهر قدرته، فقال: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾[3].

أي هذا الماء الذي أنزله سبحانه بقدرته من السماء قد سلكه ينابيع في الأرض، ثم يخرج بسبب هذا الماء زرعاً مختلفاً في ألوانه وأشكاله، فمنه ما هو أخضر، ومنه ما هو أصفر، ومنه ما ليس كذلك، مما يدل على كمال قدرة الله تعالى، ثم يصيب هذا الزرع المختلف الألوان بالجفاف والضمور، فتراه مصفراً من بعد اخضراره ونضارته، ثم يجعله فتاتاً متكسراً. فالله سبحانه يشبه الحياة الدنيا في سرعة زوالها وقرب اضمحلالها بهذا الزرع المخضر، ثم يعقب ذلك الجفاف والذبول[4].

وفي هذا المعنى وردت آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾[5].

---

1 سورة النمل، الآية 61 .

2 سورة الزمر، الآية 21 .

3 سورة الزمر، الآية 21 .

4 طنطاوي، (212/12) بتصرف.

5 سورة الكهف، الآية 45 .

[4] الماء آية دالّة على بديع خلق الله عز وجل: قال تعالى: *أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ*[1]. وهـذا المـاء أصـل الحياة وعنصرها الذي لا تنشأ إلا به، كما قدر الله، فهو الذي قدر أن يكون عذباً، فلو شـاء الله لجعله مالحاً لا يستساغ ولا ينشئ حياة، أفلا يشكرون فضل الله الذي أجرى مشيئته بما كان[2].

[5] والسحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظام تبقى معلقة فـي جو السماء وذلك من الآيات العظام الدالة على عظم صنع الله عز وجل، حتى إذا احتاجها الخلق وتضرعوا إلى الله نزل الماء عليهم في صورة قطرات مائية[3].

قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: *فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا*[4].

قال تعالى: *. . . وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ*[5].

قال تعالى: *وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا* لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا*[6].

وفي إنزال المطر والتحكم فيه من قبل الله دليل على وجوده وقدرته وحكمته، فإذا مـا أحيا الله الأرض الميتة به، تذكر الناس أنه قادر على إحياء الأموات والعظام والرفات[7].

وقال أيضا: *وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا*[8].

---

1 سورة الواقعة، الآيات 68 ـ 70 .

2 في ظلال القرآن، (3469/6).

3 الفخر الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، قدم له الشيخ خليل محيي الدين الميس، دار الفكر، بيروت، ط1993، (218/3).

4 سورة نوح، الآيتان 10 و 11 .

5 سورة البقرة، الآية 164 .

6 سورة الفرقان، الآيتان 48 و 49 .

7 التفسير المنير، (83/19).

8 سورة الفرقان، الآية 53 .

إن الماء واحد، ولكن الماء العذب لا يختلط بالماء المالح، وا خالق الماءين الحلو والمالح، وجعل الأنهار والعيون والآبار حلوة، وفي البحر الحلو الفرات الزلال، وجعل البحار في المشارق والمغارب والمحيطات الخمس مالحة، وملوحتها سبب لنقاوتها وعدم فسادها، ويتجدد هواء البحر بالمد والجزر، فتستطيع الأسماك العيش بسلام[1].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[2].

وهذا دليل آخر على قدرة ا ، إذ خلق الإنسان في احسن تقويم، وزوده بطاقات الحس والعقل والمعرفة والتفكير، وأقدره على مخلوقات الدنيا، وجعلها مذللة مسخرة لخدمته، فسبحانه من إله بديع الخلق، مجيب الصنع واهب الوجود، ومبدع الكون العجيب[3].

كما جاء ذكر الماء في أمور غيبية كثيرة نذكر منها:

[1] الماء في الجنة والأنهار التي تجري في الجنة، وطلب أهل النار للماء من أهل الجنة، يقول ا تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

وقال: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[5].

---

1 التفسير المنير، (84/19).

2 سورة الفرقان، الآية 54 .

3 التفسير المنير، (85/19).

4 سورة البقرة، الآية 25 .

5 سورة آل عمران، الآية 15 .

كما جاء ذكر: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ في آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عـن أمر غيبي هو في عقيدة كل مسلم من أمور اليوم الآخر، ويقول الرسول صلى ا عليه وسـلم: (... وأن الجنة حق، والنار حق...)"[1].

"فالجنة تُـنال بالإيمان والعمل الصالح[2]، والجنات: البساتين وإنما سميت جنـة لأنهـا تجن من فيها: أي تستره بشجرها، وهو اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنات كثيرة، ومنه المجن والجنين والجن"[3].

"والأنهار: جمع نهر، وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر، والمراد: المـاء الذي يجري فيها وأسند الجري إليها مجازاً، والجاري حقيقة هو الماء، والضمير من تحتها عائد على الجنات، لاشتمالها على الأشجار، أي من تحت أشجارها"[4].

" والماء الجاري من النعمة العظمى، واللذة الكبرى، لذا قرن ا تعالى الجنـات بـذكر الأنهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها"[5].

ثم إن أهل النار يفتقدون الماء، ويحاولون خائبين طلب الماء من أهل الجنة كما أخبرت سورة الأعراف:

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[6].

---

1 صحيح البخاري مع فتح الباري، تحقيق الشيخ ابن باز، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، حديث رقـم 1120، (305/3).

2 فتح القدير، (57/1)، تفسير القرطبي، (166/1) .

3 مختار الصحاح، ص 114، المفردات، ص 98 .

4 فتح القدير، تفسير القرطبي، نفس الصفحات.

5 تفسير النسفي، (34/1)، دار إحياء الكتب العربية.

6 سورة الأعراف، الآية 50 .

"أفيضوا: أي التوسعة، من أفاض، أي إذا ملأ الإناء حتى أساله"[1].

" أي طلبوا منهم التوسعة عليهم ومواساتهم بشيء من الماء، أو بشيء مما رزقهـم ا من غيره من الأشربة أو الأطعمة، وفيه دليل على أن الجنة فوق النار. وفي الآية أيضاً دليـل على أن الإنسان لا تقوم حياته إلاّ بالماء، ولا يستطيع أن يستغني عنه، وأن سقيا الماء من أعظم القربات عند ا ، وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء"[2].

ولكن هيهات أن يستجاب لهم، فقد قال ا تعالى على لسان أهل الجنة:

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3].

---

1 المفردات، ص 387، مختار الصحاح، ص 517 .

2 تفسير القرطبي، (138/7)، فتح القدير، (24/2.)، تفسير النسفي، (55/2).

3 سورة الأعراف، الآية 50 .

المطلب الثاني: الماء من ناحية فقهية

- **الوضوء:**

والوضوء له فضل عظيم عند ا تعالى، لقول الرسول صلى ا عليه وسلم: "الطهور شطر الأيمان"[1]. وحديث: "ألا أدلكم على ما يمحو ا عز وجل به الخطايا ويرفع إليه الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول ا ، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط"[2].

وإن ماء الوضوء له الأثر العظيم في ذهاب السيئات ونضارة الوجه، وراحة البدن، ففي الحديث الصحيح أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: " إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء - أو: مع آخر قطر الماء - فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء - أو: مع آخر قطر الماء - فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء - أو: مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقيا من الذنوب"[3].

" فليس الوضوء والغسل مجرد تنظيف للجسد ليقول متفلسفة هذه الأيام: إننا لسنا في حاجة إلى هذه الإجراءات، لأننا نستحم ونُنظف أعضاءنا بحكم الحضارة!، إنما هي محاولة مزدوجة لتوحيد نظافة الجسم وطهارة الروح في عمل واحد وفي عبادة واحدة يتوجه بها المؤمن إلى ربه"[4].

وهذا ما نفهمه من سياق الاية.

---

1 صحيح مسلم، باب فضل الوضوء، حديث رقم ص3، (209/1) .

2 المصدر نفسه، باب إسباغ الوضوء على المكاره، حديث 251، (217/1) .

3 المصدر نفسه، باب خروج الخطايا مع الوضوء، حديث 244، (215/1) .

4 قطب، سيد، في ظلال القرآن، (850/2) .

﴿ ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾[2].

- **الوضوء لغة:**

" مأخوذة من الوضاءة، وهي الحسن والبهجة والنظافة. والوضوء: بفتح الواو اسم الماء الذي يتوضأ به.والوضوء: بالضم هو فعلك إذا توضأت[3].

"والوضوء شرعاً: اسم للفعل الذي هو استعمال الماء في أعضاء معينة مع النية، وهـو غسل الوجه واليدين والرجلين، ومسح الرأس"[4].

"وحكمه الأصلي الفريضة، لأنه شرط لصحة الصلاة"[5].

لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾[6].

---

1 سورة المائدة، الآية 6 .

2 سورة المائدة، الآية 6 .

3 لسان العرب، (322/15)، وانظر: مختار الصحاح، ص 726 .

4 الخن، مصطفى، د. مصطفى البغا، الفقه المنهجي على مـذهب الإمـام الشـافعي، دار القلـم، دمشـق، ط2، 1416هـ/ 1996م، (53/1)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: الفقه المنهجي.

5 المصدر نفسه، ص 53 . وانظر: الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكـر، دمشـق، ط3، 1989، (28/1)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: الفقه الإسلامي.

6 سورة المائدة، الآية 6 .

والآية تـُخاطب المؤمنين لعدم وجوب الصلاة على الكافر، و* إِذَا قُمـتُم * وللعلمـاء كلام كثير في تفسير إذا قمتم إلى الصلاة هل هي للمحدث أو النائم، أو لمن يريد الصـلاة ولـم يحدث، والراجح في المعنى القيام إلى الصلاة أنه يشمل جميع أحوال القائم إلى الصـلاة، وأنـه يتوضأ لكل قيام، فإن كان على وضوء فوضوءه قبل الصلاة مندوب، أما إذا كـان مـن غيـر وضوء فوضوءه واجب"[1].

وقوله تعالى: * فَاغْسِلُوا وجوهكُم *.

"والوجه: أصل الوجه الجارحة، وهو ظاهر البدن وأول ما يستقبلك"[2].

" والغسل:إسالة الماء على العضو الذي يراد غسله والاغتسال غسل البدن"[3].

والوجه عضو مشتمل على أعضاء، وله طول وعرض، فحده في الطـول مـن مبتـدأ سطح الجبهة إلى منتهى اللحيين، ومن الأذن إلى الأذن في العرض"[4].

* وَأيدِيكُم إِلَى الْمرافِق * والمرافق جمع مِرفق، والمرفق من الإنسان والدابـة أعلـى الذراع وأسفل العضد[5].

دلّ ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي ا عنه: "أنه توضأ فغسل وجهه فأسـبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشـرع في الساق، وقال: هكذا رأيت الرسول صلى ا عليه وسلم يتوضأ. وقال: قال رسول ا صلى

---

1 تفسير الطبـري، (151/3) . ومعـالم التنزيـل، (13/2.)، وتفسـير القرطبـي، (55/6)، وفـتح القـدير، (21/2).

2 المفردات، ص 513 .

3 المصدر نفسه، ص 361 .

4 تفسير القرطبي، (57/6) .

5 لسان العرب، (275/5).

ا عليه وسلم أنتم الغـُر المحجـّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غـُرته وتحجيله"[1].

* وامسحوا بِرءوسِكُم * والمسح: إمرار اليد على العضو وهنا إمراره مع شـيء مـن الماء على الرأس.

والمسح لبعض الرأس أو جميعه، ودلّت السنّة أن مسح بعضه يجزىء: " وهو أن النبي صلى ا عليه وسلم مسح بناصيته وعلى عمامته"[2].

"والناصية مقدمة الرأس، وهي جزء منه، والاكتفاء بالمسح عليها دليل علـى أن مسـح الجزء وهو المفروض وحصل بأي جزء كان"[3].

* وَأرجلَكُم إلَى الْكَعبين * وفيها قراءتان:

ـ الغُسل:

* وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا *[4].

* وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا *[5].

" والغُسل في اللغة: سيلان الماء على الشيء أياً كان"[6].

" وشرعا: جريان الماء على البدن بنية مخصوصة"[7].

---

1 صحيح مسلم، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، حديث رقم 246، (217/1) .

2 صحيح مسلم، باب المسح على الرأس والخفين، حديث رقم 274، (225/1) .

3 الفقه المنهجي، (55/1)، وانظر: معالم التنزيل، (131/2)، تفسير القرطبي، (59/6)، فتح القدير، (22/2) .

4 سورة المائدة، الآية 6 .

5 سورة النساء، الآية 43 .

6 المفردات، ص 360 .

7 الفقه المنهجي، (71/1)، وانظر: الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي، (358/1) .

ودل على مشروعيته الكتاب والسنّة والإجماع.

أما الكتاب: * وإن كُنْتُم جنُبًا فَاطهروا *.

وأما السنّة فحديث: " حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يوما يغسل فيه رأسه وجسده"[1].

والغُسل قسمان: غُسل مفروض،وغُسل مندوب.

أما المفروض:وهو الذي لا تصح العبادة المفتقرة إلى طهر بدونه.

وأسبابه: الجنابة والحيض والولادة والموت.

" أما المندوب: وهو المسنون وهو الذي تصح الصلاة بدونه، ولكن الشرع ندب إليها لاعتبارات كثيرة منها:

[1] غُسل الجمعة.

[2] غسل للعيدين، عيد الفطر وعيد الضحى.

[3] غسل الكسوفين، كسوف الشمس وخسوف القمر.

[4] غسل الاستسقاء.

[5] الغسل من غسل الميت.

[6] أغسال متعلقة بالحج"[2].

---

1 صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الجمعة، باب هل على من يشهد الجمعة غسل، حيث رقم 897، (39/3).

2 الفقه المنهجي، (71/1 ـ 88) باختصار.

- **التيمم:**

علمنا أن الوضوء إنما يكون بالماء، إلا أن الإنسان قد يتعذر عليه استعمال الماء، إما لفقده أو بعده، أو لمرض يمنع من استعماله. ولسماحة الشرع الحكيم شرع التيمم بالتراب عِوضاً عن الوضوء، أو الغسل، لأهمية العبادة عامة والصلاة خاصة، إذا لا يمنع أو يرفع وجوب الصلاة غياب فقد الماء، وهذه من رحمة ا بعباده، حيث لا يفوتهم أجر وحسنات وبركات الصلاة.

والتيمم في اللغة: القصد[1] ومنه: * ولا تَيمموا الْخَبِيثَ مِنْه تُنْفِقُون *[2].

" والتيمم في الشرع: إيصال التراب إلى الوجه واليدين أو مسحهما على وجه مخصوص بنية"[3].

ومشروعية التيمم في الكتاب والسنّة:

قوله تعالى: ❊ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيدِيكُمْ مِنْهُ ❊[4].

وللتيمم أسباب ذكرتها الآية:

[1] *إِن كُنْتُم مرضى* أي تعذّر استعمال الماء بسبب المرض أو خشية تأخر الشفاء.

[2] *أو علَى سفَرٍ * أي كان في سفر ولم يجد الماء، أو فقد الماء، أو كان الماء معه قليل ولا يكفي للوضوء والشرب"[5].

---

1 مختار الصحاح، ص 744 .

2 سورة البقرة، الآية 267 .

3 الفقه الإسلامي وأدلته، (406/1) بتصرف.

4 سورة المائدة، الآية 6 .

5 تفسير القرطبي، (69/6 ـ 71) باختصار، وانظر: تفسير الطبري، (160/3) .

الفصل الثاني

أنواع المياه

<u>المبحث الأول:</u> المياه السطحية.

المطلب الأول: المياه السطحية الجارية.

المطلب الثاني: المياه السطحية الراكدة.

<u>المبحث الثاني:</u> المياه الجوفية.

المطلب الأول: الينابيع والعيون.

المطلب الثاني: الآبار (الخزانات).

<u>المبحث الثالث:</u> البحـار.

المطلب الأول: العذب الفرات.

المطلب الثاني: الملح الأجاج.

المطلب الثالث: البرزخ المائي.

المطلب الرابع: البحر المسجور.

المطلب الخامس: البحر اللجي.

<u>المبحث الرابع:</u> أسماء الماء النازل من السماء.

الفصل الثاني

أنوع المياه

من أهم نِـعم ا عز وجل علينا الماء كما أسلفنا، ممثلة في الأنهار والأودية والعيـون والينابيع، والبحار والمحيطات، فالناظر والمتأمل في الآيات الكريمة يلاحظ مدى العناية الإلهية بهذه النعمة، فكثيرة هي الآيات التي تتحدث عن هذا الموضوع، والتي إن دلـّت علـى شـيء فإنما تدل على كمال قدرة ا عز وجل وحكمته وعنايته وسعة فضله. وقد قسّمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث، في كل مبحث عدة مطالب.

المبحث الأول: المياه السطحية:

المياه السطحية هي التي نراها ونشاهدها، أي تكون على سطح الأرض، وهذه المياه إما أن تكون جارية مثل الأنهار والأودية، ولها دور في تشكيل سطح الأرض، وإما أن تكون راكدة مثل البحيرات والمستنقعات.

- **المطلب الأول:**

المياه السطحية الجارية (الأنهار)

لقد ورد في القرآن الكريم عدة آيات ذكر فيها لفظ النهر أو الأنهـار، وهـذه الآيـات تحتوي على معانٍ جمة من أجلها خلق ا عز وجل هذه الأنهار. فأول هذه المعاني أنه خلقهـا عز وجل نعمة من نِـعمه على بني الإنسان.

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

---

[1] سورة النحل، الآية 15 .

وقال أيضا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾[1].

" فالنهر: هو مجرى الماء، والجمع أنهار ونُهر ونهور"[2].

" والأنهار تشقّ الأرض في أخاديد فتجري خلال الأرض"[3]. وقد قال المفسرون: الأنهار هي المياه الجارية في الأرض"[4].

" والرواسي من الجبال:هي الثوابت الرواسخ، رسا الجبل يرسو إذا ثبت أصله في الأرض"[5].

" سبلا: السبيل الطريق وما وضح منه"[6].

" فهذه الأنهار تجري من مكان إلى مكان آخر رزقا للعباد، ينبع من موضع وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع والبراري والقفار ويخترق الجبال والآكام فيصل إلى البلد الذي سمي لأهله وهي سائرة في الأرض يمنة ويسرة وجنوبا وشمالا، وشرقا وغربا، ما بين صغار وكبار وأودية تجري حينا، وتنقطع في وقت، وما بين نبع وجمع، وقوي السير وبطيئه بحسب ما أراد وقدر وسخّر ويسر، فلا إله إلا هو ولا رب سواه"[7].

---

1 سورة إبراهيم، الآية 32 .

2 لسان العرب، (303/14) .

3 التحرير والتنوير، (13/2) .

4 الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف (ت745هـ)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، (355/5) .

5 لسان العرب، (216/5) .

6 المصدر نفسه، (162/6).

7 تفسير ابن كثير، (566/2) .

" ومن النِعم التي خلقها ا عز وجل أيضا على هذه الأرض تثبيت الأرض بالجبال الرواسي لتقر ولا تضطرب بأهلها، وإيجاد السبل وهي المسالك التي تُسهل العبور"[1].

[2] كما ورد ذكر الأنهار في معرض الحديث عن قدرة ا عز وجل. قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

"أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض وأرساها بجبال راسيات شامخات، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم"[3]. فتدل هذه الآية على قُدرة ا عز وجل.

[3] إثبات وحدانية ا عز وجل، وأنه المتفرد بالخلق:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[4].

" أعبادة الأوثان عديمة النفع والضرر خير أم عبادة الذي جعل الأرض مستقراً للإنسان وغيره. لا تميد ولا تتحرك بأهلها، وجعل فيها الأنهار العذبة الطيبة لسقاية الإنسان والحيوان والنبات، وجعل فيها جبالاً ثوابت شامخة ترسي الأرض وتُثبتها لئلا تميد بأهلها، وجعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً ـ سيأتي الحديث عنه فيما بعد ـ أيوجد إله مع ا فعل هذا وأبدع

---

1 تفسير ابن كثير، (566/2)، وانظر تفسير الرازي، (10/20).

2 سورة الرعد، الآية 3 .

3 تفسير ابن كثير، (501/2) .

4 سورة النمل، الآية 61 .

هذه الكائنات، بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق فيتبعونه، ولا يعلمون قدر عظمـة ا المستحق للعبادة"[1]. فهذه الآية دليل على وحدانية الخالق.

نلاحظ في الآيات السابقة أن الرواسي وردت مقرونة بالأنهار وبالماء كما فـي قولـه تعالى:

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا[2].

" مما يدل على علاقة بين الجبال والأنهار، فالجبال هي الخزانات العظيمة التي تتجمـع فيها مياه الأمطار لتخرج ينابيع وعيوناً تجري أنهاراً ينبت بها من كل شيء موزون، وفي الآية السابقة: * وجعلْنَا فِيها رواسِي شَامِخَاتٍ وَأَسقَينَاكُم ماءً فُراتًا * نلاحظ أن الآيات التي يرد فيها ذكر الأنهار فإننا نجد أن كلمة * الرواسي* ترد فيها دون أن توصف بشيء، أما في هذه الآية التي تذكر إسقاء الماء الفرات، فالرواسي وصفت بكلمة *شامخات* إذ أن أغزر الأمطار تنزل على أكثر الجبال شموخاً، وكلما انخفض الجبل كلما قلّت أمطاره، ويعلل العلماء ذلك أن الرياح الرطبة والباردة عندما تصطدم بالكتل الجبلية العالية ترتفع إلى أعلى، فتضرب السـحب التـي فوق الجبال فتُبردها وتتساقط أمطارها"[3].

أما عن الأودية فيقول تعالى: *أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ*[4].

---

1 التفسير المنير، (12/20) .

2 سورة المرسلات، الآية 27 .

3 دفضع، بسام، الكون والإنسان بين العلم والقرآن، اليمامة للنشر، دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ/1994م، ص 95ـ 97، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: الكون والإنسان.

4 سورة الرعد، الآية 17 .

"أودية: أصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء، ومنه سمي المفرج بين الجبلين وادياً، وجمعه أودية[1]، ونكّر أودية، لأن المطر إنما يدل على طريق المناوبة، فتشمل بعض الأودية دون بعض"[2].

والقدر: مبلغ الشيء، والمعنى بقدرها في الماء، فإن صغر الوادي قلّ الماء، وإن اتسع كثر"[3].

قال ابن الأنباري: " شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر، إذ نفع نزول المطر يعم كعموم نفع نزول المطر، وشبه الأودية بالقلوب، إذ الأودية يستكن فيها الماء كما يستكن القرآن والإيمان في قلوب المؤمنين"[4].

فاحتمل السيل زبداً رابيا: الزبد: هو الأبيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل، ويقال له الغُثاء والرغوة، والرابي: العالي المرتفع فوق الماء. وقيل: هو الزائد بسبب انتفاخه، من ربا يربو إذا زاد" [5].

وهذا مثل ضربه ا تعالى للحق والباطل، فالحق هو الذي يستقر في القلوب، وا الذي أنزل من السماء ماء هو الذي أنزل من السماء قرآناً، فكلاهما نازل من السماء، والقرآن الذي أنزله ا من السماء تلقّته القلوب والعقول كل على قدره *فسالت أودية بقدرها*، فالناس تأخذ من القرآن على قدر سعة أوديتهم، فهذا يأخذ بمقدار، وذلك يأخذ بمقدار"[6].

---

1 المفردات، 2/ 518 .

2 البحر المحيط، (373/5).

3 النيسابوري، أبو السحن علي بن أحمد الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، قرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (12/3)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: الوسيط في تفسير القرآن المجيد .

4 المصدر نفسه، (85/3).

5 فتح القدير، (3/ 85)، وانظر: تفسير القرطبي، (207/9) .

6 القرضاوي، يوسف، تفسير سورة الرعد، مكتبة وهبة، ط1998، ص 181 .

"ومعنى السيل: سال الشيء يسيل، والسيل أصله مصدر، وجعل اسماً للماء الذي يأتيك ولم يصبك مطره"[1].

وتمتاز مياه الأنهار بـ:

[1] **الجريان: قال تعالى على لسان فرعون:** ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾[2].

وقال تعالى في وصف نهار الجنة: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾[3].

وقال أيضا: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾[4].

[2] **التبخّر:** حيث تتعرض الأنهار والأودية كباقي المسطحات المائية لأشعة الشمس التي تُبخّر الماء السطحي فيها.

[3] "**الفيضانات:** فاض الماء إذا سال منصباً، وأفاض إناءه إذا ملأه حتى أساله"[5].

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[6].

ولذا يسمى خروج الماء أو ملؤه للأرض: فيضانا.

" والإفاضة:التوسعة، يقال أفاض عليه نِعمه، طلبوا منهم أن يواسوهم بشيء من الماء، أو مما رزقهم ا من غيره من الأشربة أو الأطعمة"[7].

---

1 المفردات، ص 250 .

2 سورة الزخرف، الآية 51 .

3 سورة الكهف، الآية 31 .

4 سورة الغاشية، الآية 12 .

5 المفردات، ص 387 .

6 سورة الأعراف، الآية 50 .

7 تفسير القرطبي، (138/7) .

المطلب الثاني: المياه السطحية الراكدة:

"ركد: أي سكن، والماء الراكد أي الساكن غير المتحرك"[1].

وكذلك الريح والسفينة، قال تعالى:

* وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ *[2].

"أي إذا منع ا الريح عن السفينة بقيت السفينة راكدة ساكنة غير متحركة على ظهـر البحر، وكل ثابت في مكان فهو راكد"[3].

والماء عندما لا يكون له مخرج أو محصوراً فهو راكد، ويعـرف هـذا النـوع مـن التجمعات المائية الراكدة بالبحيرات.

" فالبحيرات:هي المسطحات المائية التي تُحيطها الأرض أو اليابسة من جميع الجهات، وتقع فوق أجزاء القارات.

" أما عن تكوينها، فقد تكونت هذه البحيرات عن طريق تجمع مياه الأمطار والثلوج في قعرات سطحية، فإذا كانت هذه المسطحات واسعة تكونت بحيرات كبيرة الحجـم، وإذا كانـت صغيرة تكونت البرك أو المستنقعات الصغيرة، وتتعرض هذه المسطحات إلى عمليـة التبخـر والتسرب إلى باطن الأرض، وتعتمد كمية المياه فيها على كمية المياه التـي تفقـدها بـالتبخّر والتسرب داخل الصخور"[4].

---

1 مختار الصحاح، ص 254 .

2 سورة الشورى، الآيتان 32 و 33 .

3 فتح القدير، (616/4) .

4 أبو العينين، كوكب الأرض، ص 548 .

ـ المبحث الثاني:

المياه الجوفية

المياه الجوفية: هي المياه الموجودة في جوف الأرض، أي في باطنها، وتعمل هذه المياه على تكوين ظاهرات عديدة في الأرض مثل: المغارات والكهوف والمنخفضات.

وفي التنزيل العزيز قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[1].

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[2].

" أو يصبح ماؤها غوراً: أي ذاهباً قد غار في الأرض"[3] "وداخلاً في الأرض لا تناله، والماء المعين: الجاري"[4].

والمياه الجوفية تُقسم إلى أقسام:

- ـ المطلب الأول: الينابيع أو العيون.
- ـ المطلب الثاني: الآبار (الخزانات).

---

1 سورة الملك،الآية 30 .

2 سورة الكهف، الآية 41 .

3 مختار الصحاح، ص 482 .

4 المفردات، ص 470 .

المطلب الأول: الينابيع أو العيون:

ينزل الماء من السماء فيغيض في التربة التي يكون فيها من المسام ما يساعد على نفوذ الماء، ويسيل الماء حتى يلقى طبقات صخرية مختلفة، فتتراكم هذه المياه، وقد تجد لها منفذاً من جهة الوادي، فتخرج بشكل عين أو ينبوع، وتتجمع المياه وتُشكّل الميـاه الغـائرة أو الجوفيـة الكثيفة، ويمكن أن تنبجس من الأرض بشكل ينبوع.

وتوجد الينابيع في الجبال والأودية، وغالبا ما توجد أسفل صخرة أو منحدر، أو حيـث يوجد شق أو أخدود ويؤدي إلى السطح"(1).

[1] " الينابيع: نَبع الماء نَبعاً ونبوعاً: أي تفجر، وقيل: خرج من العـين، ولـذلك سُّـميت ينبوعاً، وجمع ينابيع"(2).

تعريف الينابيع والعيون:

[2] العيون: هي العين الجارحة، ويقال لمصنع الماء عين، تشبيها بها لما فيها مـن المـاء، ومن عين الماء اشتق ماءٌ معين أي ظاهر للعيون، ومعين أي سائل"(3).

وذكر العيون في القرآن جاء على عدة معاني وصور، فمنها:

[1] الينابيع الموجودة في باطن الأرض، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(4).

---

1 أبو العينين، كوكب الأرض، ص 294 .

2 لسان العرب، (22/14)، وانظر: المفردات، ص 480 .

3 المفردات، ص 355 .

4 سورة الزمر، الآية 21 .

" وفي هذه الآية تشبيه بحال الدنيا، فيخرج ا بالماء النازل من السـماء والنـابع مـن الأرض زرعاً مختلفا في ألوانه وأشكاله وطعومه وروائحه، وبعد هذه النضارة يكتهـل فتـراه مصفراً قد خالطه اليبس فيتحطم، هكذا الدنيا تكون خضرة حسناء، ثم تعود عجـوزاً شـوهاء، والشاب يعود شيخاً هرماً، وبعد ذلك الموت"[1].

[2] أو الينبوع الخارج من الصخر أو من الحجارة:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

" لقد وردت هذه الآية في معرض الحديث عن بني إسرائيل وإعراضهم عما جـاء بـه موسى عليه السلام، فشبه قلوبهم بالحجار، بل قلوبهم أجدب وأقسى، هذه الحجارة التي لهم بهـا سابق عهد، فقد رأوا الحجر تنفجر منه إثنا عشرة عينا، ورأوا الجبل يندك حين تجلّى عليه ا ، وخر موسى صعقا، ولكن قلوبهم لا تلين ولا تندى قلوب قاسية مجدبة كافرة"[3].

وحول قوة الانفجار للعين أو الينبوع بقدرة ا سبحانه وتعـالى، ومعلـوم أن العيـون متفاوتة في قوة الاندفاع من المصدر كما تصف الآية الكريمة:

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[4].

[3] ثم إن هناك عيوناً في الجنة ذكرت في أكثر من آية مثل:

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[5]. ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[1].

---

1 تفسير ابن كثير، (51/4)، بتصرف.

2 سورة البقرة، الآية 74 .

3 في ظلال القرآن، (80/1).

4 سورة الإنسان، الآية 6 .

5 سورة الرحمن، الآية 50 .

" ونضاختان من النضخ: شدة فور الماء وجيشانه، ونضاختان أي فوارتان"[2].

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾[3].

[4] قوة تفجير العيون من الأرض:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4].

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[5].

فقد ورد في سورة البقرة " فانفجرت"، وفي سورة الأعراف "فانبجست". يقال: بجس الماء، وانبجس انفجر، لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع"[6].

" وانفجر: شق الشيء شقاً واسعاً"[7].

" في الكلام حذف تقديره فضرب فانفجرت، وقد كان الله تعالى قادراً على تفجير الماء وفلق الحجر من غير ضرب، لكن أراد أن يربط المسببات بالأسباب حكمة منه للعباد في وصولهم إلى المراد، وليرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد"[8].

---

1 سورة الرحمن، الآية 66 .
2 مختار الصحاح، ص 664 .
3 سورة طه، الآية 6 .
4 سورة البقرة، الآية 60 .
5 سورة الأعراف، الآية 160 .
6 المفردات، ص 37 .
7 المصدر نفسه، ص 373 .
8 تفسير القرطبي، (285/1).

نلاحظ من خلال المعنى: أن الانبجاس أضيق من الانفجار، فهذا يكون في بداية خروج الماء ثم يصير انفجاراً.

وذكر العيون هنا معجزة أجراها ا عز وجل على يد موسى عليه السلام عندما سـأل ا عز وجل أن يسقيهم ماء وهم في الصحراء، فأجابه ا عز وجل إلى ما سأل، وفجـر لهـم هذه العيون ليشربوا منها ويشكروا ا على هذه النعم فلا يقابلوها بالعصيان"[1].

قال تعالى:

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا ﴾[2].

﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا ﴾[3].

﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾[4].

﴿ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ ﴾[5].

والنبع أعم من العين، لأننا نُطلق على الينابيع الصغيرة كلمة عين. ومن خلال تجـارب العلماء في الحفر على المياه الجوفية، فإنها توجد في أي طبقة صخرية كتيمة تحفظه في بـاطن الأرض، لذا قال ا تعالى: ﴿ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾[6][7].

---

1 تفسير ابن كثير، (110/1).

2 سورة الإنسان، الآية 18 .

3 سورة القمر، الآية 12 .

4 سورة سبأ، الآية 12 .

5 سورة الإسراء، الآية 91 .

6 سورة البقرة، الآية 60 .

7 المصري، عبد العزيز محمود، قانون المياه في الإسلام، تقديم: عبد ا فكري الخـاني، دار الفكـر، بيـروت، دمشق، ص 46، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: قانون المياه.

لقد أشارت الآية في قوله تعالى: ❋ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ❋[1].

" إلاّ أن انفجار الماء من الأرض، من الصخور، منحصر في هذين الحالين، وذلك هـو ما تقرر في علم الجغرافيا الطبيعية، أن الماء النازل على الأرض يخرق الأرض بالتدريج، لأن طبع الماء النزول إلى أسفل جرياً على قاعدة الجاذبية، فإذا ضغِطَ عليه بثق نفسه من تكاثره، أو بضاغط آخر من أهوية الأرض تطلب الخروج حتى إذا بلغ طبقة صخرية أو صلصالية هنـاك فالحجر الرملي يشرب الماء، والصخور والصلصال لا يخرقها الماء، إلاّ إذا كانـت الصـخور مركّبة في مواد كلسية، وكان الماء قد حمل في جريته أجزاء من معدن الحامض الفحمي، فـإن له قوة على تحليل الكلس، فيحدث ثقباً في الصخور الكلسية حتى يخرقها، فيخرج منهـا نابعـاً كالعيون، وإذا اجتمعت العيون في موضع نشأت عنها الأنهار.

وأما الصخور غير الكلسية فيفتـتّها الماء، ولكن قد يعرض لها انشقاق بـالزلازل، أو بفلق الآلات، فيخرج منها الماء، إما إلى ظاهر الأرض كما نرى في الآبار، وقد يخـرج منهـا الماء إلى طبقة تحتها فيختزن تحتها حتى يخرج بحالة من الأحوال السابقة.

وقد يجد الماء في سيره قبل الدخول تحت الصخر أو بعده منفـذاً إلـى أرض ترابيـة، فيخرج طافيا من سطح الصخور التي جرى فوقها، وقد يجد الماء في سيره منخفضات في داخل الأرض فيستقر فيها، ثم إذا انضمت إليه كميات أخرى تطلب الخروج بطريـق مـن الطـرق المتقدمة، ولذلك يكثر أن تنفجر الأنهار عقب الزلازل"[2].

[6] وجاء ذكر العيون والينابيع على سبيل التعجيز والتحدّي لنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، بعد عجزهم بأن يأتوا بمثل القرآن، أو بمثل سورة منه، طلبوا من الرسول صلى الله عليه

1 سورة البقرة، الآية 74 .

2 التحرير والتنوير، (1/ 565) .

وسلم بأن يأتي لهم بمعجزات مادّية ليس ليؤمنوا بها بل فقط من أجل المراوغة والتحدي والتعجيز فقالوا:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾[1].

1 سورة الإسراء، الآيتان 90 ـ 91 .

ـ ـ **المطلب الثاني:**

الآبار (الخزانات)

" آبار جمع بئر: وهي الثقب المستدير في الأرض، وأصله بالهمز، يقال بـأرت بئـراً، وبأرت بؤرة أي حفيرة، وهو في الأصل حفيرة ستر رأسها ليقع فيها من مر عليها.

قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[1][2].

ويقول ا تعالى في الآبار أو البئر:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[3].

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[4].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[5].

وانظر إلى كلمة * وما تَحتَ الثرى *، أي ما تحت الأرض[6]. وأشارت الآية إلى كل الكنوز التي تحت الثرى ومنها المياه الجوفية.

"والآبار منها الصغيرة ومنها الكبيرة، واليوم هناك تسمية حديثة للآبار، فهنـاك آبـار تُحفر باليد، أو يبني بناء وتُجمع فيه مياه الأمطار، وهناك الآبار الارتوازية، وهي على نوعين:

[1] **الآبار السطحية:** وهي الآبار التي لا تتجاوز الطبقة السطحية الأولى من المياه، ومن ثم فإن منسوب المياه فيها يخضع بسرعة لطرق التغذية وهي تزويد هذه الآبار بكمية المياه

---

1 سورة الحج، الآية 45 .

2 المفردات، ص 66 .

3 سورة المؤمنون، الآية 18 .

4 سورة الحجر، الآية 22 .

5 سورة طه، الآية 6 .

6 لسان العرب، (95/2).

اللازمة لملئها، عن طريق مياه الأمطار والثلوج، ويلاحظ فارق في هذا المنسوب بـين الصيف والشتاء.

[2] **آبار جوفية عميقة:** وهي التي تخترق الطبقات الجوفية وتصل إلى أعماق كبيرة، ربما تزيد عن ألف متر عمقاً، ولا تتأثر مناسيبها كالآبار السطحية"[1].

وللبئر أسماء كثيرة، أو بالأحرى الآبار، ولها أوصاف، وورد منها في القرآن الكـريم بعض هذه التسميات نذكرها فيما يلي:

[1] البئر: وهي البئر غير المستغلة أو المستغلة بقلـّة.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[2].

والمعنى: أي أن كثيرا من القرى أهلكناها وخربناها بإهلاك أهلها، بسبب أنهـا ظالمـة بالكفر والمعاصي، فهي ساقطة على سقوفها، وكم من بئر متروكة لا يستسقي منها لهلاك أهلها. وقصر مشيد: مرفوع البنيان أو مجصص بالشيد"[3].

[2] " الجب: بئر لم تُطو وتسميته بذلك إما لكونه محفورا في جيوب، أي في أرض غليظة، وإما لأنه قد جب "[4].

ووردت في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته حيث ألقوه في غيابة الجب. قال تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾[5]. أي أسفل البئر، والغيابة كل موضوع سـتر عنـك

---

1 قانون المياه، ص 64 .

2 سورة الحج، الآية 45 .

3 البحر المديد، (420/4) بتصرف.

4 المفردات، ص 85 .

5 سورة يوسف، الآية 15 .

الشيء[1]. وهذه البئر كانت مستغلة، والدليل على ذلك ورود السيارة، قال تعالى: *وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ*[2].

[3] الرس: البئر القديمة، والجمع رساس، ورسست رساً، أي حفرت بئـرا والـرس بئـر لثمود[3].

قال تعالى: *وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا*[4]. وقـال أيضـا: *كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ*[5].

أصحاب الرس: قيل هم قوم شعيب، وقيل هم الذين جاء بهم رجل من أقصـى المدينـة يسعى، وهم من قوم عيسى، وقيل هم أصحاب الأخدود"[6].

والآبار الارتوازية على الرغم من أن الإنسان تدخّل في صنعها، إلا أن وجودها يرتبط عادة بالمياه الجوفية التي تتجمع كخزانات في الثنيات الصخرية.وقد ذكرها ا عز وجـل فـي محكم تنزيله، قال تعالى:

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ[7].

إن هذا الماء النازل من السماء لا يختزن في مكان معين.

فا الذي يخزن هذا الماء، والخزائن بيد ا سبحانه وتعالى.

---

1 معالم التنزيل، (152/3).

2 سورة يوسف، الآية 19 .

3 لسان العرب، (210/5).

4 سورة الفرقان، الآية 38 .

5 سورة ق، الآية 12 .

6 فتح القدير، (84/5) .

7 سورة الحجر، الآية 22 .

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[1].

" وإذا لم يجد الماء طبقة صخرية في باطن الأرض سواء في الأعلى أم في الأسفل لن يكون هناك مياه جوفية، لأنه حسب قوانين حركة السوائل سيستمر السائل بالحركة ليجد مستقراً له وهي الطبقة الخازنة الجوفية"[2].

---

1 سورة الحجر، ألآية 21 .

2 قانون المياه، ص 46 .

ـ المبحث الثالث:

البحار

إن ا عز وجل خلق الإنسان في هذه الحياة وسخر له هذا الكون بكل مـا فيـه مـن مخلوقات عظيمة، وأمره بالتفكّر والتدبر والبحث والنظر، كي يستطيع أن يعـيش علـى هـذه الأرض ويعمرها ويكتشف أسرارها التي لا تنتهي، إلى أن يرث ا الأرض ومن عليها، ومنها هذا المخلوق العظيم، ألا وهو البحر. فالبحر عالم مليء بالعجائب، سخّره ا عز وجل للنـاس ليأكلوا منه لحماً طرياً، ويستخرجوا منه الحلي، وليطلبوا فضل ا تعالى ورزقه، عن طريـق التجارة والأسفار على ظهر البحر من مكان إلى آخر سعياً وراء الربح.

" والبحر: هو الماء الكثير ملحاً كان أم عذبا، وهو خِـلاف البر، وسمي بـذلك لعمقـه واتساعه، وقد غلب على المالح حتى قلّ في العذب، وجمعه أبحر وبحور، وبحار"[1].

" وعندما ضرب ا عز وجل مثلاً لسعة علمه ضربه بالبحر، قال تعالى: ❊قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا❊[2].

" فالبحر أوسع وأغزر ما يعرفه البشر، وبهذا التصوير المحسوس والحركة المجسـمة يقرب إلى التصوير البشري المحدود معنى غير المحدود"[3].

"ولما سئل الرسول صلى ا عليه وسلم عن البحر قال:(هـو الطهـور مـاؤه، الحـلّ ميتته)"[4].

---

1 لسان العرب، (41/4)، وانظر: مختار الصحاح، ص 41 .

2 سورة الكهف، الآية 109 .

3 في ظلال القرآن، (2296/4).

4 أخرجه مالك في الموطأ، (22/1)، وأحمد في المسند، (237/2)، والترمذي، (100/1)، وقال: حسن صحيح.

"والله تعالى يمتن على عباده بما خلق لهم من البحار والأنهار، فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض، وما ينبت منه في جوانبها الجميع مالح الطعم مر، وفي هذا حكمة عظيمة لصحة الهواء، إذ لو كان حلواً لأنتن الجو وفسد الهواء، بسبب ما يموت فيه من الحيوانات، فكان سيؤدي إلى تفاني بني آدم، فسبحان الله العظيم"[1].

" هذا البحر المتلاطم الأمواج، ذلله الله للناس ومكّنهم من الغوص في أعماقه والإرفاء، وهذه نعمة عظيمة من الله، ولو شاء لسلّطه علينا وأغرقنا"[2].

قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[3].

يقول صاحب الظلال: " والسفينة في الخِضم كالريشة في مهب الريح، مهما ثقلت وضخُمت وأتقن صنعها، إلا تدركها رحمة الله فهي هالكة في لحظة من ليل أو نهار، والذين ركبوا البحار، سواء عبروها في قارب ذي شراع، أو عابرة ضخمة للمحيط يدركون هول البحر المخيف، وضآلة العصمة من خطره الهائل، وغضبه الجبار، ويحسون رحمة الله، وأنها وحدها العاصم بين العواصف والتيارات في هذا الخلق الهائل الذي تُمسك الرحمة الإلهية عنانه الجامح"[4].

---

1 ابن كثير، بداية خلق الكون، تحقيق: عادل أبو المعاطي، دار البشير للطباعة والنشر، ص 70 .

2 تفسير القرطبي، (57/10) .

3 سورة يس، الآيات 41 ـ 44 .

4 قطب، سيد، في ظلال القرآن، (2970/5) .

- المبحث الثالث:

المطلب الأول: العذب والفرات

ذكر ا تعالى في محكم تنزيله آيات تصف مياه البحار بوصفين:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[1].

وقال أيضا: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾[3].

"فالبحر بحران، بحر عذب، وبحر مالح أجاج، ودعنا نتحدث عن العذب الفرات، أي الحلو حلاوة مقبولة في الذوق وهو الماء الطيب"[4].

"يقول تعالى منبهاً إلى قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة، خلق البحرين، العذب الزلال وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك، والملح الأجاج وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكِبار"[5].

" والماء العذب: هو ما قلّت نسبةُ الأملاح فيه، بحيث أصبح سائغاً في الذوق من ناحية ملوحته"[6].

---

1 سورة فاطر، الآية 12 .

2 سورة الفرقان، الآية 53 .

3 سورة المرسلات، الآية 27 .

4 مختار الصحاح، ص 42. .

5 تفسير ابن كثير، (551/3) . وانظر: التحرير والتنوير، (279/22) .

6 المعجم الوسيط، (899/2) .

"والفرات: أشد الماء عذوبة، وفي التنزيل: ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾[1][2].

ويقول صاحب الظلال: " البحر الملح الأجاج، والنهر العذب الفرات، سماهما بحـرين على سبيل التغليب من حيث مادتهما المشتركة وهي الماء"[3].

ويقول: " فأما الجانب العذب السائغ اليسير المتناول، فنحن نعرف جانباً من حكمـة ا فيما نستخدمه وننتفع به، وهو قوام الحياة"[4].

"وسائغ شرابه: ساغ الشراب في الحلق يسوغ سوغاً، سهلَ مدخله في الحلـق"[5].أي أن شربه لا يكلف النفس كراهة.

"عذب فرات: يريد به ماء الآبار والأنهار والعيون في أقطار الدنيا"[6].

ويقسم الماء العذب إلى ثلاثة أقسام:

[1] المياه النازلة من السماء: من مطر، وثلج، وبرد، وهي من أنقى المياه فـي طبيعتهـا، لأنها مقطّرة.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾[7].

[2] المياه السطحية: وهي المياه التي على سطح الأرض، وتكون إمـا جاريـة كالأوديـة والأنهار، أو راكدة كالبحيرات.

---

1 سورة فاطر، الآية 12 .

2 لسان العرب، (65/2) . انظر: معارج التفكر، (557/6) .

3 في ظلال القرآن، (2657/5) .

4 المصدر نفسه، (2934/5) .

5 لسان العرب، (432/6).

6 تفسير الطبري، (617/5) .

7 سورة الفرقان، الآية 48 .

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾[1].

[3] المياه الغائرة أو الجوفية: وهي مياه تغيض في التربة التي يكون فيها من المسـام مـا يساعد على نفوذ الماء إلى داخل التربة.

قال تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾[2].

1 سورة الرعد، الآية 17 .

2 سورة المؤمنون، الآية 18 .

المطلب الثاني: ملحٌ أُجاج

" ملح: الملح الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد، ويقال له مالح إذا تغير طعمه، وإن لم يتغير يتجمد فيقال: ماء ملح، وقلما تقول العرب: ماء مالح"[1].

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[2].

"والأُجاج: شديد الملوحة والحرارة، من قولهم أجيج النار"[3].

إن في البحار من الملح ما يكفي لصنع قارة من الملح تكبر قارة إفريقيا. وليست كل البحار على نفس الدرجة من الملوحة، وتختلف درجة الملوحة قليلاً من السطح إلى القاع، ومن قطب إلى آخر، ولكن متوسط درجة الملوحة حوالي 5، 3%، وتتميز مياه البحار بملوحتها ومذاقها المر، فهي غير صالحة للشرب والاستعمالات المنزلية، ويرجع سبب هذا المذاق المر إلى وجود أملاح معينة في حالة ذائبة، وأهمها ملح الطعام، وكلوريد المغنيسيوم، وسلفات الكالسيوم. وكمية الأملاح ثابتة إلى حد كبير، ولكنها صالحة لنمو العضويات، سواء كانت حيوانية أو نباتية، مع تأثير حرارة الشمس وضوئها، إذ تستمر الحياة في البحار رغم أنها مالحة"[4].

---

1 المعجم الوسيط، (899/2).

2 سورة الفرقان، الآية 53 .

3 المفردات، ص 10، لسان العرب، (65/2).

4 شاهين، د. علي عبد الوهاب، دراسات في جغرافيا البحار والمحيطات، جامعة بيروت، ص 125، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: شاهين، جغرافيا البحار . انظر أيضا: فردينانلين، البحر، ترجمة: محمود رضوان، ص 47 .

المطلب الثالث: البرزخ المائي

هذه واحدة من الحقائق التي كشفت عنها الآيات الكريمة قبل العلم الحديث، ولـم يكـن يتصورها الناس أو يفهموا معناها، هذه الحقيقة جاءت في الآيات التالية:

يقول ا تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾[1].

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[2].

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[4].

فإن الآيات تتحدث عن بحرين ملح أجاج، وعذب فرات، ولكن ما جاءت به أيضا حقيقة أخرى، وهي قضية البرزخ، الحاجز، الفاصل البحري الذي وضعه ا بـين البحـرين فكيـف هذا؟.

هناك قولان لأهل العلم والتأويل في البرزخ الذي بين البحرين:

[1] " قال بعضهم: البرزخ الحاجز والحائل الذي جعله ا بينهما من قدرته حتـى يفصـل بينهما ويمنعهما من التمازج.

---

1 سورة الفرقان، الآية 53 .

2 سورة فاطر، الآية 12 .

3 سورة النمل، الآية 61 .

4 سورة الرحمن، الآيات 19 ـ 23 .

حِجراً محجورا: سترا مستورا، يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر، فالبرزخ: الحـاجز، والحِجر: المانع"[1].

[2] وقال آخرون: البرزخ:هو الأرض اليابسة حاجزاً تحجز بينهما، وقـال ابـن عبـاس: البرزخ الأرض بينهما.

"والراجح هو القول الأول، لأن ا أخبر أنه مرج البحرين، والمرج: هو الخلط[2]، فلو كان البرزخ أرضا يابسة لما كان هناك مرج وخلط بين المائين"[3].

" أي وا الذي جعل البحرين المتضادين متجاورين متلاصقين لا يمتزجان، هذا مـاء زلال عذب شديد العذوبة، وهذا مالح شديد الملوحة، ولكن لا يختلط أحدهما بالآخر، كأن بينهما حاجزاً منيعاً، وكأنهما ضدان مفترقان متنافران لا يجتمعان، ولا يصل أحدهما إلى الآخر، فهما في مرأى العين واحد، ولكنهما في الحقيقة والواقع منفصلان، كما قال تعالى:* مرج الْبحـرين يلْتَقِيان* بينَهما برزخٌ لا يبغِيان* فَبِأَي ءالاءِ ربكُما تُكَذبان*[4].وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على قدرة ا الباهرة، فالماء واحد، ولكن الماء العذب لا يخـتلط بالمـاء المـالح، وا خلـق الماءين: الحلو والمالح، وجعل الأنهار والعيون والآبار حلوة، وهي البحر الحلو الفرات الزلال، وجعل البحار في المشارق والمغارب والمحيطات الخمس مالحة، وملوحتها سبب لنقاوتها وعدم فسادها"[5].

"واختلاط الماءين أظهر في الدلالة، حيث خلط الماء المالح مع الماء العذب، ثـم حـال بينه وبين إفساد الماء العذب"[6].

---

1 فتح القدير، (95/4).

2 المفردات، ص 465 .

3 معارج التفكير، (559/6).

4 سورة الرحمن، الآية 21 .

5 التفسير المنير، (84/19) .

6 الطبري، (617/5)، التحرير والتنوير، (13/20) .

"وجعل الحاجز بين البحرين من بديع الحكمة، وهو حاجز معنوي حاصل من دفع كلا الماءين أحدهما عن الآخر من الاختلاط به، بسبب تفاوت الثِقل النسبي لاختلاف الأجزاء المركّب منها الماء المالح والماء العذب، فالحاجز من طبعهما وليس جِسماً آخر فاصلاً بينهما"[1].

"ونلاحظ أن المفسرين هنا قالوا: إن هذا الحاجز يفصل بين البحر المالح والبحر العذب، ولكن علم البحار جاء ليؤكد الآيات وليكتشف الحقيقة التي لم يتصورها الناس، وهو الحديث عن الحاجز بين البحرين المالحين، وبين البحرين العذب والمالح"[2].

ولأن آية الرحمن قالت: *مرج الْبحرين يلْتَقِيان* بينَهما برزخٌ لا يبغِيان* يقول الشيخ الزداني في كتابه العلاج هو الإسلام:

" المرجان المقصود في الآية لا يوجد إلا في البحار المالحة، وقوله: *يخْرج مِنْهما اللؤْلُؤُ والْمرجان* أي أن البحرين المذكورين مالحان، ولقد عرف الإنسان هذه الحقيقة في عام 1873م، عندما خرجت رحلة تشالنجر وطافت حول البحار ثلاثة أعوام (وهذه الرحلة هي الحد الفاصل بين علوم البحار التقليدية القديمة المليئة بالخرافات والأساطير، وبين الأبحاث الرصينة القائمة على التحقيق والبحث)، وهذه الباخرة هي أول هيئة علمية بينت أن البحار المالحة تختلف في تركيب مياهها والحرارة والكثافة والملوحة، والأحياء المائية، وقابلية ذوبان الأكسجين.

" ثم في عام 1942 ونتيجة أبحاث أخرى وجدوا مثلا أن المحيط الأطلنطي لا يتكون من بحر واحد، بل من بحار مختلفة وهو محيط واحد!!!"[3].

---

1 التحرير والتنوير، (13/20) .

2 دفضع، الكون والإنسان، ص 128 .

3 الزنداني، العلاج هو الإسلام، ص 31 ـ 38 بتصرف.

ويقول: وعندما جاءت بعثة ألمانية عام 1962 تدرس البحرين أقامت فترة فـي بـاب المندب ـ منطقة التقاء البحر الأحمر ببحر العرب ـ تدرس البحرين حتى وصلت إلى اكتشاف الحاجز، وحددت مكانه، وأنه حاجز يتحرك ويجيء ويذهب، ويتردد تحركه الريـاح والمـوج والحركة للمد والجزر"[1].

والإشكال الواقع بين علماء التفسير والذي قرأنا منه حول كلمة مرج، وبرزخ، إذ مرج أي خلط، فكيف خلط وبينهما حاجز؟؟!!.

ولكن المعنى الثاني لمرج: أي أرسل ومد، أي أرسلهما متلاحقين متجاورين، بحيـث لا يتمازجان. والآية الكريمة تقول:* لا يبغِيان*، ومرج الدابـة: أرسـلها. فـالبرزخ لا يجعـل الاختلاط سريعاً، فلو كان الاختلاط سريعاً لطغى البحر الكثير على القليل، ولكن هذا البـرزخ يجعل الخلط بطيئاً جداً، لا يتم إلا بعد فترة طويلة، ويعبر برفق وهدوء، وإذا انتقل إلى البحـر الآخر يكون قد فقد خصائصه واكتسب خصائص جديدة، فقولوا لي أي ألفـاظ، أي بلاغـة، أي صياغة يمكن لعقل أن يصوغ هذه بها الحقائق في هذه العبارات؟ حاشا أن يكون هـذا علـم بشر، بل هذا علم الذي أحاط بكل شيء علما * لَكِن الله يشْهد بِما أَنْـزلَ إِلَيـك أَنْزلَـه بِعِلْمِـهِ *[2][3].

وعلى هذا، فمعنى مرج البحرين يلتقيان: أي أنه خلق البحرين عند لقائهما فـي حالـة ذهاب وإياب واضطراب.

" إذاً يختلطان ولا يمتزجان، بمعنى أنهما لا يشكلان سائلاً واحداً، أي لا يذوب أحدهما في الآخر، وهذا الحاجز يمنع طغيان بحر على آخر، وهو حاجز كيميائي يسمح للماء بـالمرور

---

1 الزنداني، العلاج هو الإسلام، ص 31 ـ 38 بتصرف.

2 سورة النساء، الآية 166 .

3 الزنداني، العلاج هو الإسلام، ص 38، وانظر: التحرير والتنوير، (238/27) .

من بحر إلى آخر، لكنه يمنع الخصائص والمميزات الموجودة في بحر بأن تطغى على ميـزات البحر الآخر، أي * لا يبغِيان*[1].

واليوم استطاعت الأقمار الاصطناعية أن تلتقط صوراً لهذه الحواجز، الحاجز بين النهر والبحر: عذب ومالح، والحاجز بين مالح ومالح في المحيط، أو البحر، وأصبح الأمر مشـاهداً يمكن تصويره وتفصيله أكثر، ولكن هذه الحقيقة جاءت بها الآيات قبل السفن الفضائية والأقمار الاصطناعية.

1 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 1.8 .

المطلب الرابع: البحر المسجور

المسجور: هكذا وردت هذه الكلمة في آية الطور، ووردت في التكوير، سجرت. فما هو المقصود بهذا البحر؟ وهل هو في الدنيا أم في الآخرة؟،وكيف دلّت الآية على حقيقـة علميـة اكتشفها الإنسان منذ فترة ليست بعيدة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾[1].

ويقول أيضا: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾[2].

"ومعنى المسجور:المملوء، وسجرت النهر: ملأته، وسجر التنور: أوقده وأحماه"[3].

"وقيل المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها"[4].

"لم يستطع العرب في وقت نزول القرآن الكريم أن يسـتوعبوا دلالـة القسـم بـالبحر المسجور، لأن عندهم مسجور من سجر التنور يعني أوقد عليه حتى أحماه، والماء والحـرارة من الأضداد، فالماء يطفيء الحرارة، والحرارة تُبخّر الماء"[5].

وقد دفعهم هذا إلى إسناد الأمر إلى الآخرة استناداً إلى ما جاء في سورة التكوير * وإِذَا الْبِحار سجرتْ *، ولكن الآيات في سورة التكوير تتحدث عن أمور مستقبلية في الآخرة، والقسم في مطلع سورة الطور كلّه بأمور واقعة في حياتنا.

---

1 سورة الطور، الآيات 1 ـ 6 .

2 سورة التكوير، الآية 6 .

3 لسان العرب، (177/6)، وانظر: مختار الصحاح، ص 287 .

4 تفسير ابن كثير، (241/4) .

5 النجار، زغلول، الإعجاز العلمي في السنّة النبوية، ص 29 ـ 30 .

واضطر ذلك بعض المفسرين إلى البحث عن معنى آخر وهو ملأ وكفّ، وفرحوا بذلك لأنه فسر الأمر لهم بمعنى أن الله ملأ منخفضات الأرض بالماء وحجزها وكفّها عن مزيد من الطغيان على اليابسة"[1].

فكيف يمكن التوفيق ونحن نعلم دقّة وعظمة القرآن؟؟!!.

وقد يكون المقصود المملوء بالطاقات الكامنة التي أودعها الله عز وجل في البحار وسخّرها للإنسان، ومنها النفط والمعادن والأملاح.

" وللماء خاصية الاحتفاظ بحرارة الشمس لمدة أطول من قشرة الأرض، والشمس تحمي الطبقات العليا من مياه البحار، أما الطبقات العميقة فهي تحمي بفعل الحرارة المتصاعدة من جوف الأرض ومن ملايين الأطنان من الحِمم والصخور السائلة، التي يقذفها في قاع المحيطات باطن الأرض المتصدع، والبحار مملوءة بالتيارات البحرية، منها أحد عشر تياراً مائيا ساخناً، وفيها (15) ألف بركان مشتعل وبارد، وعشرين لُجة تصل أعماقها إلى 11516 مترا"[2].

وبدراسة سلسلة الجبال البركانية في أعماق البحار اتضح للعلماء أنها قد اندفعت على هيئة ثورات بركانية عنيفة، عبر شبكة هائلة من الصدوع العميقة، التي تُمزق الغلاف الصخري للأرض، ويحيط بها إحاطة كاملة في كل الاتجاهات، وتتركّز أساساً في قيعان المحيطات، وهذه الصهارة عالية الكثافة، والتي تدفعها تيارات الحمل الساخنة إلى قيعان كل المحيطات، وقيعان بعض البحار في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مؤية، فتدفع بجانبي المحيط يمنة ويسرة في ظاهرة يسميها العلماء ظاهرة اتساع وتمدد قيعان البحار والمحيطات، وتملأ بالصهارة الصخرية، مما يؤدي إلى تسجير قيعان محيطات الأرض"[3].

---

1 المصدر نفسه، ص 29 ـ 30 .

2 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 112 ـ 114 بتصرف. نقلا عن موسوعة كوستو للبحار الفرنسية.

3 المصدر نفسه، ص 112 ـ 114 بتصرف.

ومن هنا نفهم القَسم في سورة الطور * والْبحرِ الْمسجورِ * أي الموقد الملتهب بـالحمم البركانية، والصهارة الصخرية الحارة الملتهبة في قاع المحيط وبعض قيعان البحار. وهذه الآية أوحاها ا للنبي محمد صلى ا عليه وسلم، علما منه مسبقاً بأنها ستكون هـذه الآيـة مذهلـة ومبهرة لإنسان القرن الحادي والعشرين الذي تنكشف لـه ـ بتوفيق من ا ـ حقائق علمية لم تنكشف للإنسان في عصر التنزيل. وهذه أيضا معجزة من معجزات القـرآن الكـريم التـي لا تنتهي فسبحان ا .

المطلب الخامس: البحر اللُّجي

لُجي، كلمة وردت في الآية 40 من سورة النور، يضرب الله فيها مثلاً للكافر في عدم انتفاعه من أعماله الخيرة التي قدمها في حياته الدنيا، لأنه لم يعملها لوجه الله تعالى، ولم يكن قد آمن.

يقول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[1].

يقول سيد قطب – رحمه الله – في التصوير الفني في القرآن: " هنا صور فنية ساحرة، فيها روح القصة، وفيها تخيل قوي، وهي بعد بحاجة إلى ريشة مبدعة، لو أريد تصويرها بالألوان، وعلى عدسة يقظة، لو أريد تصويرها بالحركات، بل أين هي الريشة أو أين هي العدسة التي تستطيع أن تُبرز هذه الظلمات؟!"[2].

"ولُجة الماء معظمه، ومنه بحر لُجي، أي بحر كثير الماء"[3].

" (في بحر لُجي): هو الذي لا يدرك قعره، واللجة معظم الماء، والجمع لُجج. والتج البحر إذا تلاطمت أمواجه، ويغشاه موج: أي يعلو ذلك البحر اللجي موج من فوقه موج: أي من فوق الموج موج، ومن فوق هذا الموج الثاني سحاب"[4].

" ظلمات بعضها فوق بعض: ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة السحاب. والظلمات مثل لأعمال الكفار، والبحر اللجي مثل لقلب الكافر، فهو قلب قد غمره الجهل وتغشّته الضلالة والظلمة، كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فقلب الكافر يغشاه

---

1 سورة النور، الآية 40 .

2 قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط14، 1993، ص 246 – 247 .

3 مختار الصحاح، ص 592 .

4 تفسير القرطبي، مجلد 9، (12/ 187).

الجهل، وقد ختم ا عليه فلا يعقل عن ا ، وختم على سمعه فلا يسمع موعظة ا ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر حجج ا ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض. قال ابن عباس: الظلمـات الأعمال، والبحر اللجي قلب الإنسان، والظلمات فوق بعض الغشاوة التي على القلـب والسـمع والبصر"[1].

* إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا *[2].

" قال بعض العلماء: هو لم يرها، ومعنى * لم يكد يراها* أنه إذا أخرج يده رائيـاً لـم يكد يراها: أي لم يعرف من أين يراها، ولم يقرب أن يراها.

وقال آخرون: المعنى أن يكون قد رآها بعد بطء وشدة وجهد، كقول أحدهم: ما كِـدت أراك من الظلمة، وهو قد رآه، ولكن بعد إياس وشدة.

والقول الثالث هو المتفق عليه مع معنى *كاد*، واستعمالاتها في اللغة حيث تدل علـى حصول الشيء بعد شدة وجهد، وهذا إذا كانت منفية"[3].

أما علماء البحار فماذا يقولون عن هذه الآية ومعناها؟

" لقد كشفت علوم البحار في النصف الثاني من القرن العشرين أن في البحار العميقـة، وعلى عمق 3 آلاف متر أمواجاً عاتية، قد يصل طولها إلى بضعة كيلومترات، وارتفاعها إلـى مئة متر، وأنه على عمق ستين متراً عن سطح البحر يصبح كل شيء مظلماً في البحار، كما أن هناك أنواعاً من الُسحب التي تعكس ضوء الشمس بكامله"[4].

وإليك بعض التفاصيل لنقترب من المعنى بشكل أوضح:

---

1 تفسير الطبري، (565/5) .

2 سورة النور، الآية 40 .

3 تفسير الطبري، ج5، ص 566 .

4 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 117 .

" يتألف ضوء الشمس من سبعة ألوان، وهي تُسمى ألوان الطيف، وهي: الأحمر، والبرتقالي، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والنيلي، والبنفسجي، وهي بمجموعها تُشكّل طيف الضوء.

هناك سحاب، ثم ظلمة السحاب، ثم الموج السطحي، ثم البحر السطحي، ثم الموج الداخلي، ثم البحر اللجي، وأن في السحاب ما يعكس الضوء بالكامل على عمق 15 ـ 2. متراً عن سطح البحر، تمتص المياه اللون الأحمر، ثم البرتقالي من ضوء الشمس، فتنشأ ظلمة أولى بالنسبة للون الأحمر والبرتقالي، بمعنى أننا لا نستطيع رؤية الأشياء ذات اللون الأحمر والبرتقالي بعد عمق يتجاوز عشرة أمتار تحت سطح البحر"[1].

وعلى عمق 20 متراً عن سطح البحر تمتص مياهه اللون الأصفر، ظلمة ثانية.

وعلى عمق 30 متراً عن سطح البحر تمتص مياهه اللون الأخضر، ظلمة ثالثة.

وعلى عمق 60 متراً عن سطح البحر تمتص مياهه باقي الألوان، أي الأزرق والنيلي والبنفسجي، فتنشأ ظلمة رابعة مطلقة، بمعنى أننا لا نستطيع أن نرى الأشياء في أعماق تبعد ستين متراً عن سطح البحر"[2].

وتحت هذا العمق، وعلى مسافة سبعين متراً وحتى مئة مترٍ عن سطح البحر يوجد موج داخلي، هذا الموج الداخلي لم يكتشف إلا عام 1900م. وعلى بعد مائتي متر تبدأ منطقة شديدة الظلام، ويشتد الظلام كلما نزلت إلى أسفل، والأسماك هناك بلا عيون"[3].

---

1 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 117، الكون والإنسان، ص 135 ـ 136 بشيء من التصرف.

2 المصدر نفسه، ص 118 .

3 الزنداني، العلم طريق الإيمان، ص 23 .

والجدير بالذكر أن ظلمة البحر اللجي لا تُصبح مطلقة أي ظلاما دامساً إلا بعـد سـتين متراً أو أكثر، أما ما بين هذا العمق وسطح البحر فظلمات البحر نسبية، وهذا ما أشارت إليـه الآية، وجاء التعبير * لم يكد يراها*، فلم يقل التعبير القرآني لم يرها.

"وهذا ما حدا بالعالم الهندي المتخصص بعلوم البحار (دور غارا) إلى التعليـق علـى المعلومات الواردة في هذه الآية بعد أن تُرجمت مقالته ما خلاصته: إن المعلومات الواردة فـي هذه الآية الكريمة ليست من مستوى معلومات البشرية في زمن التنزيل، بل من مستوى أعلـى من الطبيعة ومن البشر، يعني ذلك من المولى عز وجل سبحانه وتعالى"[1].

ثم أن هناك حقيقة الأمواج الداخلية العظيمة، التي يغشى بعضها بعضاً، أي أن الأمواج فوق الأمواج، فوق البحر اللجي، موج فوقه موج فوقه سحاب، وهذه الأمواج هـي الموصـوفة بالموج الداخلي العظيم.

فهل تجد أجمل وأرق وأضبط من هذا الوصف وهذه الحقائق العظيمة؟ وفـي كلمـات بسيطة، إنه العلم الإلهي، هذا العلم الذي لم يعرف إلا بعد الغواصات.

والآية ضربت مثلا لأعمال الكفار الباطلة، وأنها لا شيء وهي ظلمات فـوق بعضـها البعض كأعمالهم الظالمة المظلمة.

---

1 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 118 .

ـ المبحث الرابع:

أسماء الماء النازل من السماء

في بحثنا عن السحاب تحدثنا عن عملية التكـاثف للبخـار المتصـاعد مـن البحـار والمسطحات المائية، والنباتات إلى الغلاف الجوي، وأن بعملية التكاثف هذه تعود الميـاه إلـى الأرض بأشكال مختلفة منها ما ذكر في القرآن، ومنها ما لم يذكر. وسنعرض هنا لأسماء الماء النازل من السماء:

السحاب: سبق تعريف السحاب والحديث عنه[1]. ولكن هناك ألفاظ وردت في القـرآن الكريم بمعنى السحاب منها:

[1] المزن: قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾[2].

" المزن: السحاب عامة، وقيل السحاب ذو الماء، واحدته مزنة، وقيل: المزنة السـحابة البيضاء، والجمع مزن،والبرد: حب المزن"[3].

[2] المَعصرات: قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾[4].

والمعصرات: السحائب تُعتصر بالمطر، وأعصر الناس: أمطروا. قال تعـالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[5] أي يمطرون. وقرأ بعضهم وفيه يعصرون، والإعصـاء: ريـح

1 في الفصل الأول، المبحث الثاني، كيفية تكون المطر.

2 سورة الواقعة، الآيتان 68 و 69 .

3 لسان العرب، (96/13).

4 سورة النبأ، الأية 14 .

5 سورة يوسف، الآية 49 .

تُثير الغبار فيرتفع إلى السماء كأنه عمود، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾. وقيل: هي ريح تُثير سحابا ذات رعد وبرق"[1].

[3] الحاملات: قال تعالى: فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا [2].

"شبه ا عز وجل السحاب الذي يحمل الماء الكثير بحمل المرأة، التي تحمل في بطنها الولد"[3].

" وقرا: الوقر بالفتح الثقيل، وبالكسر: الحِمل، وأكثر ما يستعمل في حمل البغل والحمار، فعبر ا عز وجل عن الماء بالحِمل، فهذه السحائب تحمل حِملاً"[4].

[4] الغمام:قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾[5] وقال أيضا: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾[6].

"والغمام: الغيم الأبيض، وإنما سمي غماماً لأنه يغم السماء أي يسترها، وهو جمع غمامة"[7].

فبعدما ذكر تعالى ما دفعه عن بني إسرائيل من النقم شرع يذكرهم بما أسبغ عليهم من النعم، ومن هذه النعم السحاب الأبيض، ظللوا به في التيه ليقيهم حر الشمس"[8].

---

1 مختار الصحاح، ص 436، وانظر: لسان العرب، (237/9).

2 سورة الذاريات، الآية 2 .

3 المفدرات، ص 131، 132 .

4 مختار الصحاح، ص 732، وانظر: المفردات، ص 131، 132 .

5 سورة البقرة، الآية 57 .

6 سورة الأعراف، الآية 160.

7 لسان العرب، (129/10).

8 تفسير ابن كثير، (95/1).

[5] العارض: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾[1].

العارض: البادي عرضه[2]، السحاب يعترض في الأفق[3].

"هذه الآية وردت في معرض الحديث عن قوم هود عليه السلام، وهم عاد وقد دعاهم إلى الإيمان فلما كذبوه رأوا العذاب مستقبل أوديتهم، فاعتقدوا أنه سحاب ففرحوا واستبشروا به، وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر، فإذا هو سحاب فيه عذاب وريح تُدمر كل شيء بأمر ا عز وجل"[4].

[2] **المطر:** معروف، هو الماء الذي ينزله ا تعالى من السحاب.

بعض الآيات التي وردت فيها كلمة المطر وأفعالها:

﴿ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[5].

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[6].

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴾[7].

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾[8].

---

1 سورة الأحقاف، الآية 24 .

2 المفردات، 330 .

3 مختار الصحياح، ص 425 .

4 تفسير ابن كثير، (161/4).

5 سورة النساء، الآية 102 .

6 سورة الأعراف، الآية 84 .

7 سورة هود، الآية 82 .

8 سورة الفرقان، الآية 40.

نلاحظ أن كلمة المطر الواردة في الآيات التي أمامنا جاءت في معنى الهلاك والعـذاب للأقوام الذين عصوا ا عز وجل. وهناك العديد من الآيات التي جاءت بكلمة المطر واشتقاقاتها وتحمل نفس المعنى.

أما معنى أن هذا المطر رحمة فقد عبر القرآن بكلمات غيرها مثل: إنزال المـاء مـن السماء، وكثيرة هي الآيات التي جاءت هكذا منها:

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾[1].

﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[2].

جاء في القرآن الكريم أسماء أخرى للمطر، سنتحدث الآن عن بعضها، منها:

[1] الغيث: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾[3].

أي ينزل المطر الذي هو أنفع أنواع الرزق وأهمها فائدة وأكثرها مصلحة، بعد ما أيسوا من ذلك، فيعرفون بهذا الإنزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمته لهم[4].

وقال أيضا: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾[5].

[2] الصيب: المطر: صاب الماء وصوبه، صبه وأراقه[6].

---

1 سورة النحل، الآية 10 .

2 سورة الروم، الآية 24 .

3 سورة الشوري، الآية 28 .

4 فتح القدير، (613/4).

5 سورة الحديد، الآية 20 .

6 لسان العرب، (432/7)، وانظر: المفردات، 511 .

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[1].

وهذا مثل ضربه ا عز وجل لبيان حال المنافقين في إظهار الإسلام زمنا قليلا، فشبه حالهم بحال قوم نزل عليهم المطر الغزير، المصحوب بالمخاوف في ظلمات المطر والسحب والليل، والرعد والبرق، وفي هذا الجو القاتم تلمسوا سبيل النجاة، فعزموا على اتباع الحق الذي جاءت به الآيات، ثم ما لبثوا أن وقعوا في الظلام، فأصابهم القلق والاضطراب وا محيط بهم قادر عليهم[2].

ومن دعاء الرسول صلى ا عليه وسلم عند نزول المطر، عن عائشة رضي ا عنها أن رسول ا صلى ا عليه وسلم كان إذا رأى المطر قال: (اللهم صيباً نافعا)[3].

[3] الوابل: هو المطر الثقيل القطار [4].

وردت مرتين في سورة البقرة، إحداهما في الحديث عن المنفق رياء، والأخرى في الحديث عن المنفق ابتغاء مرضاة ا .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾[5].

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[6].

---

1 سورة البقرة، الآية 19 .

2 التفسير المنير، (91/1).

3 صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الجمعة، باب ما يقال إذا أمطرت، رقم 1032، (212/3).

4 المفردات، 511 .

5 سورة البقرة، الآية 264 .

6 سورة البقرة، الآية 265 .

مثل ا سبحانه وتعالى المنفق رياء بصفوان "حجر أملس" عليه تـراب يظنـه الظـان أرضا منبته طيبة، فإذا أصابه وابل من المطر أذهب عنه التراب وبقي صلداً، أي أجرد نقياً من التراب، فكذلك هذا المرائي، فإن نفقته لا تنفعه، كما لا ينفع المطر الواقع على الحجر الأملـس الذي عليه تراب. ومثل ا في المقابل للمؤمن الذي ينفق ماله ابتغاء مرضاة ا ، وتثبيتا لإيمانه بمثل البستان في مكان مرتفع مغطى بالأشجار، ينتج ضعفين بالنسبة إلى غيره مـن الجنـان، بسبب الوابل وهو المطر الشديد، فهذا البستان لا يحمل أبداً لأنه إن لم يصبه وابل فطل (أضعف المطر)، وأياً ما كان فهو كفايته، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدا، بل يتقبله ا ويكثره وينميه، كل عامل بحسب عمله، ولهذا قال تعالى:

" وا بما تعملون بصير" أي لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء[1].

[4] الطل: أضعف المطر، وجمعه طلال[2]، وحاله أثر قليل[3]. وهو فـوق المطـر ودون الندى[4].

ورد ذكر الطل في سورة البقرة في الآية السابقة، قال تعالى:﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[5].

فعندما ذكر ا تعالى أن البستان لا يحمل أبدا وإن لم يصبه وابل فطـل، أي سيصـيبه الطل وهو أضعف المطر، والمعنى أن هذه الجنة تُنتج الثمار ولو بمطر قليل.

---

1 تفسير ابن كثير، (319/1) بتصرف.

2 مختار الصحاح، ص 396 .

3 المفردات، ص 305 .

4 لسان العرب، (191/8).

5 سورة البقرة، الآية 265 .

[5] الودق: وهو المطر[1]، لقولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾[2]. وقال أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾[3].وقد سبق شرح هذه الآيات فـي الفصـل الأول، المبحـث الثاني: كيفية تكون المطر.

[6] الغَدق: المطر الكثير العام[4].

قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[5].

اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين:

أي: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعولوا عليهـا واسـتمروا عليهـا، لأسقيناهم ماء غدقا، أي كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق.

وأن لو استقاموا على طريقة الضلال * لأسقَينَاهم ماءً غدقاً * أي لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا[6].

والقول الأول أرجح، لأن "الطريقة" معرفة بالألف واللام، فالأوجب أن تكون طريقتـه طريقة الهدى، ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع الهدى[7].

[8] الثجاج: الثج: الصب الكثير، وثجاج: مصبوب، ومطر ثُجاج: شديد الانصباب جدا[8].

---

1 مختار الصحاح، ص 715 .
2 سورة النور، الآية 43 .
3 سورة الروم، الآية 48 .
4 لسان العرب، (85/2).
5 سورة الجن، الآية 16 .
6 تفسير ابن كثير، (431/4، 432).
7 تفسير القرطبي، (13/10، 14).
8 لسان العرب، (85/2).

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾[1].

والثجاج: المنصب بكثرة على جهة التتابع[2].

[3] البـرد:

﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾[3].

ويحدث سقوط البرد عادة أثناء هبوب العواصف الرعدية، إلا أنه سرعان مـا يـذوب ويتحول إلى ماء سائل[4].

---

1 سورة النبأ، الآية 14 .

2 فتح القدير، (422/5).

3 سورة النور، الآية 43 .

4 الفصل الأول، المبحث الثاني، كيفية تكون المطر.

الفصل الثالث

فوائد الماء

المبحث الأول: إحياء الأرض الميتة.

المبحث الثاني: الملاحة والنقل البحري.

المبحث الثالث: الثروة البحرية.

المبحث الرابع: الماء عصب الأحياء

المبحث الخامس: الماء للتنظيف والتطهير.

الفصل الثالث

فوائد الماء

من أهم مخلوقات الله في هذا الوجود المسخر لنا الماء، فالماء حياة الأرض والإنسـان والحيوان، وبفقده الموت، والماء له فوائد عظيمة لأهميته حتى تستمر الحياة منها:

- المبحث الأول: إحياء الأرض الميتة:

في آيات القرآن الكريم نجد إطلاق الحياة على حياة الناس والأنعام وسائر ما يدب على الأرض، وحياة هؤلاء تكون بالروح، فإذا خرجت سمي ميتاً. وحياة القلوب والنفوس بالإيمـان، وإن الكافر ميت قلبه، وحياة الأرض بالزروع والأشجار، وهذه الحياة لا تكون إلا بالماء، فـإذا فُقد الماء صارت أرضا ميتة.

يقول الله تعالى:

﴿ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[1].

﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾[2].

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[3].

" أي: وهو الذي ينزل عليكم من السماء ماء بقدر الحاجة، فلا يجعله كثيـراً حتـى لا يكون عذاباً كالطوفان الذي أنزل على قوم نوح، ولا قليلاً لا يكفي النبات والزرع، لئلا تهلكـوا

1 سورة البقرة، الآية 164 .
2 سورة الفرقان، الآية 49 .
3 سورة الزخرف، الآية 11 .

جوعاً، فتحيا به الأقاليم التي كانت خالية من النبات والشجر، وكما أحيينا الأرض بعـد موتهـا بالماء نُحييكم ونُخرجكم من قبوركم أحياء" [1].

﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾[2].

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾[3].

يقول الدكتور محمود درويش[4]: "إن التربة الطينية تحتوي على عناصر كثيرة لا حياة فيها، وهذه المواد تجمعها جذور النبات الممتدة في باطن الأرض، وتكون منها خلية حية تنقسم وتنمو، فالحياة هنا قامت على أساس مواد لا حياة فيها"[5].

وقوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

"معطوف على الصلة بالفاء لسرعة حياة الأرض إثر نزول الماء، وأطلقت الحياة علـى تحريك القوى النامية من الأرض، وهي قوة النبات استعارة، لأن الحياة الحقيقـة هـي ظهـور القوى النامية في الحيوان، فشبهت به، والمراد إحياء ما تراد له الأرض وهو النبات"[6].

" إن في إنزال الماء دلالات على الصانع ووحدانيته، حيث جعله فـي غايـة الصـفاء واللطافة والعذوبة، وصيره سبباً للأرزاق، وإنزاله بعد قنوط الناس منه وشدة احتيـاجهم إليـه، وأودع في نزوله حياة الأرض، أي حسنها ونضارتها ورواءها وبهجتها وخضـرتها، بخـروج

---

1 القاسمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي، محاسن التأويل، دار الفكر، بيـروت، ط2، 1978، (328/13)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: تفسير القاسمي. وانظر: التفسير المنير، (122/25، 123).

2 سورة ق، الآية 11 .

3 سورة فاطر، الآية 9 .

4 نائب رئيس جامعة القاهرة.

5 دفضع، الكون والإنسان، ص 25.، نقلا عن مجلة العلم والإيمان، العدد 30 .

6 التحرير والتنوير، (83/2) .

أصناف النبات وضروب الأعشاب، وألوان الأزهار، وأنـواع الأشـجار والأثمـار، وجريـان الجداول بينها والأنهار، بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين"[1].

"ودور الماء في إنبات النبات ظاهر، ودوره في إنضاج الثمرة واضح لا يخفى على أحد من الناس، ومع ذلك فإن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذي يخاطب به القرآن الناس عامة.

فقد شارك الماء ابتداءً ـ بقدرة ا ـ في جعل تُربة الأرض السطحية صالحة للإنبات عندما تكون ملتهبة وصلبة لا تصلح لإنبات النبات، ولقد تم ذلك بتعاون الماء والعوامل الجويـة الأخرى على تحويلها إلى تربة لينة سهلة، ثم ظل الماء يشارك في إخصاب هذه التربة، وذلـك بإسقاط النيتروجين من الجو كلما أبرق، فاستخلصت الشرارة الكهربائية التي تقـع فـي الجـو النيتروجين الصالح للذوبان في الماء، والذي كان يسـقط مـع المطـر، فأعـاد إلـى الأرض خصوبتها"[2].

يقول ا تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ* أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا* ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا* فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا* وَعِنَبًا وَقَضْبًا* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا* وَحَدَائِقَ غُلْبًا* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا* مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾[3].

"صباً: صب الماء إراقته من أعلى"[4] "والشق: الخرم الواقع في الشيء"[5].

" إننا أنزلنا الماء من السماء بسخاء وغزارة، فصب الماء هـو المطـر، ثـم أسـكناه الأرض، ثم روينا البذر المودع فيها"[1]." وجاء التعبير: ثم شققنا الأرض شقا: لأن شق الأرض لخروج النبات منها متراخٍ عن إنزال المطر"[2].

---

1 تفسيرغرائب القرآن، (458/2).

2 عميرة، د. عبد الرحمن، الكون والحياة بين العلم والدين، دار الجيل، 1998، ص 102 . وسيشار إليـه عنـد إعادة ذكره هكذا: عميرة، الكون والحياة.

3 سورة عبس، الآيات 24 ـ 32 .

4 المفردات، ص 273 .

5 المصدر نفسه، ص 264 .

وفي الآية إرشاد للنظر إلى شق الأرض لخروج النبات منها، ألسـنا نشـاهد أن جـذر النبات الناعم الضعيف يفلق الصخرة ويشقها شقا لتخرج فوق سطح الأرض، فيمتص غذاءه من الضياء، وحرارة أشعة الشمس، ومن الغلاف الجوي والغازي المحيط بالأرض"[3].

فلينظر نظرة تفكّر وتدبر في هذا الطعام وتدبير ا بتهيئته التراب الصـالح للإنبـات، والماء الذي يصبه ا ، والذي يختلط بتراب الأرض، فيمد البذور والجذور بما يلزم لها لتنبـت، وكيف أن البذور والجذور مشتملة على صفات قابلة لأن تنبت وتتنامى، وتخرج مـن النبـات والثمرات والخضار ما هو غذاء للإنسان والحيوان، وتهيئة الضوء والحرارة، والريـاح التـي تحمل اللقاح، وتمد النباتات بالغازات الضرورية لها.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾[4].

ذكر ا تعالى لمنافع الماء أمرين: إحياء النبات وإحياء الحيوان والإنسان. وتخصـيص الإنسان والأنعام هنا بالذكر دون الطير والوحش مع انتفاع الكل بالماء هو شدة الحاجة، فالطير والوحش تبعد في طلب الماء وتصبر على فقده أكثر من الناس والحيوان الأهلي.

" وقدم الأنعام وأخّر الإنسان عن النبات والحيوان، لشدة حاجة الحيوان وكونه عـاجزاً عن التعبير عن مراده، أما الإنسان فيتفنن في استخراج الماء بوسائل عديـدة، ولأن النـاس إذا ظفروا بما يسقي أرضهم ومواشيهم فقد ظفروا أيضا بسقياهم، فقـدم مـا هـو سـبب حيـاتهم ومعيشتهم على سقيهم"[5].

---

1 التفسير المنير، ج3، ص 71 .

2 معارج التفكر، (246/6).

3 المصدر نفسه، (246/6) بتصرف.

4 سورة الفرقان، الآية 49 .

5 التفسير المنير، (54/19).

ويقول تعالى:﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[1].

"أي أحيينا بذلك الماء بلدة مجدبة لا ثِمار فيها ولا زرع، جملة كذلك الخروج مستأنفة لبيان أن الخروج من القبور عند البعث كمثل هذا الإحياء الذي أحيا الله به الأرض الميتة"[2].

أقول: في برامج النباتات وعالم الطبيعة نُشاهد لقطة أو مشاهد لنبات منذ أن يشق الأرض وحتى يكتمل ويزهر، وتكون قد استغرقت في المشاهدة أقل من نصف دقيقة، ولكنها في الأصل استمرت أسابيع، وهذه المشاهد تُشبه إنسانا يصحو من النوم ويرفع يديه إلى أعلى، ويمد جسده، فهل هذه صورة الإنسان عندما يخرج من القبر كما جاء في الآية أم الحقيقة شيء أكبر من هذا؟ والله أعلم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[3].

إن إحياء الأرض بالماء إحياء للإنسان، لأن الله ينبت النبات الذي يحتوي على المواد والعناصر والمعادن المختلفة، التي يحتاجها الجسم وينمو بها لحمه، وكذلك حياة الأنعام، وإلى ذلك تُشير الآية الكريمة:

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[4].

اللهم كما أحييت الأرض الميتة بالماء أحيي قلوبنا بمعرفتك وحسن التوكل عليك.

"وفي عام 1827م اكتشف عالم بريطاني اسمه (براون) أن ماء المطر إذا نزل إلى التربة أحدث اهتزازات تهتز حبيبات التربة، وهي عبارة عن صفائح بعضها فوق بعض من المعادن المختلفة صفائح متراصة، وإذا نزل المطر تكونت شحنات كهربائية مختلفة بين

---

1 سورة ق، الآية 11 .

2 فتح القدير، (84/5)، تفسير القرطبي، (7/17) .

3 سورة ق، الآية 44 .

4 سورة نوح، الآية 17 .

الحبيبات فتهتز هذه الحبيبات، ويدخل الماء، فإذا دخل الماء نمت وربـت هـذه الحبيبـات أي (زادت) والربو هو الزيادة[1]، وإذا تشبهت بالماء أصبحت هذه الحبيبات عبارة عـن خزانـات معدنية داخل التربة يحفظ الماء فيها، وهكذا يستمد النبات الماء اللازم له طوال شهرين أو ثلاثة من هذه الخزانات، وإلا لكان الماء يغور في التراب، ويقتل النبات في أسبوع"[2].

ولكن القرآن سبق العلم الحديث بمئات السنين وكشف لنا عن هذه الحقيقة التي توصـل إليها العلم الحديث.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[3].

إنه إحياء الأرض بالماء، فالآية تقول إننا نرى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها، إذا ما أنزل ا عليها الماء فإنها تهتز وتتحرك، وكل شيء في التربة يتحرك وتتشقّق التربـة، فيبـدأ الإنبات، ولهذا تزداد التربة في الحجم.

---

1 لسان العرب، (127/5).

2 الزنداني، العلم طريق الإيمان، ص 112 ـ 114 بتصرف.

3 سورة الحج، الآية 5 .

المبحث الثاني: الملاحة والنقل البحري

ذكر القرآن آيات كثيرة في الملاحة البحرية والسفن، وهذه بعض المنافع التي أنعـم ا بها على البشر في عالم البحار، فذكر في الآيات: السفن، الفلك، المواخر، الجوار ي.

يقول ا سبحانه وتعالى: *إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ*[1].

ويقول تعالى: *وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ* وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ*[2].

" والفلك: السفن، وإفراده وجمعه بلفظ واحد، ويذكّر ويؤنّث، والفلك المفرد مذكّر *فِي الْفُلْكِ الْمشْحون*، فجاء به مذكراً وقال: * والْفُلْكِ الِتي تَجري * فأنّث، ويحتمل واحداً وجمعـاً. قال تعالى: * حتى إِذَا كُنْتُم فِي الْفُلْكِ وجرين بِهِم بِرِيحٍ طَيبِةٍ *[3].فجمع، فكأنه يـذهب بهـا إذا كانت واحدة إلى المركب فيذكّر، وإلى السفينة فُيؤنّث. وقيل واحدة: فلك مثل أسد وُأسد، وخشب وخُشب، وأصله من الدوران، وسميت السفينة فلكاً لأنها تدور في الماء أسهل دور"[4].

" ووجه الآية في الفلك: تسخير ا إياها حتى تجري على وجه الماء ووقوفها فوقه مع ثـقلها، وأول من عملها نوح عليه السلام، كما أخبر ا تعالى"[5].

" وبما ينفع الناس: أي بالذي ينفعهم من التجارات وسائر المآرب التـي تصـلح بهـا أحوالهم، ويركبون البحر تُكتسب الأرباح وينتفع من يحمل إليه المتاع أيضا"[1].

---

1 سورة البقرة، الآية 164 .

2 سورة يس، الآيات 41 ـ 43 .

3 سورة يونس، الآية 22 .

4 المفردات، ص 385، مختار الصحاح، ص 511، ولسان العرب، (324/10).

5 القرطبي، (131/2) .

" وإن في السياق مناسبة لطيفة بين النجوم والكواكب السابحة في أفلاكها، والفلك المشحون السابح في الماء يحمل ذُرية آدم مناسبة في الشكل، ومناسبة في الحركة، ومناسبة في تسخير هذا وذلك بأمر ا وحفظه بمقدرته في السموات والأرض سواء.

وهذه آية كتلك يراها العباد ولا يتدبرونها، بل هذه أقرب إليهم وأيسر تدبراً لو فتحوا قلوبهم للآيات[2].

" ولعلّ الفلك المشحون المذكور هنا هو فلك نوح أبي البشر الثاني، الذي حمل فيه ذرية آدم، ثم جعل ا لهم من مثله هذه السفن التي تمخر بهم العباب، وهؤلاء وهؤلاء حملتهم قدرة ا ونواميسه التي تحكم الكون وتُصرفه، وتجعل الفلك يعوم على وجه الماء بحكم خواص الفلك، وخواص الماء، وخواص الريح أو البحار أو الطاقة المنطلقة من الذرة، أو غيرها من القوى، وكلها من أمر ا وتقديره[3].

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[4].

سبحان ا ، انظر لآية كيف تذكر المد والجزر، ثم تذكر العواصف البحرية، ثم تذكر طبيعة الإنسان المسكين، لا يصدق ولا يلجأ إلى ا إلا إذا أحيط به. فا يمتن على العباد وعلى الناس كافة تسيير السفن على أمواج البحر، وبتسخير الرياح، وذلك لدفع الشراع أو تحريك الموج.

---

1 المصدر نفسه، ص 132 .

2 في ظلال القرآن، (2969/5).

3 في ظلال القرآن، (2969/5 ـ 2970).

4 سورة يونس، الآية 22 .

"فأمواج البحر حركات رأسية تنتاب ماء البحر من جراء هبوب الرياح عليه في اتجـاه معين، وهناك أيضا موجات المد والجزر، والأمواج التي تُحدثها زلازل البحر، وتنتشر الموجة أو تنتقل على طول سطح البحر بسرعة خاصة، بينما يرتفع ماء البحر في الاتجاه الرأسي فـي أي مكان بشدة أو بسعة خاصة، وبعدد خاص في زمن محدد، ولهذا نجد أن لكل موجة سـرعة انتشار معينة وسعة وتردد معينين، وكل هذه الخواص لها علاقة بالرياح وعمق الماء.

وتكون سعة الأمواج أكبر في المحيطات أو البحار المفتوحة على المحيطات، وقد تسكن الرياح ويهدأ البحر خصوصا في المناطق الاستوائية المعروفة بمناطق الركود"[1].

"* وجرين بهم *: أي السفن جرت بالراكبين عليها. و* جاءتْها * أي جاءت الفلك ريـح عاصف، و* وجاءهم الْموج من كُل مكانٍ * أي من جميع الجوانب للفلك، أي جاء الراكبين بها، والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر"[2].

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾[3].

"وقد ذكر ا   الفلك عقيب الليل والنهار، لأن المسافر في البر والبحر هو أشـد النـاس حاجة إلى تحديد اختلاف الليل والنهار، ومراقبته على الوجه الذي ينتفع به، والمسـافرون فـي البحر أحوج الناس إلى معرفة الأوقات وتحديد الجهات، لأن خطر الجهل عليهم أشـد، وفائـدة المعرفة لهم أعظم، وكون الفلك رحمة أظهر من كونها للنقل، نفهم ذلك من قوله تعـالى:*بمـا ينفع الناس* أي في أسفارهم وتجارتهم"[4].

---

1 الفندي، القرآن والعلم، ص 190ـ 193 بتصرف. شرف: عبد العزيز طريح، الجغرافيـا الطبيعيـة، مؤسسـة الثقافة الجامعية، ط2، 1977م، ص 177، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: شرف، الجغرافيا الطبيعية.

2 فتح القدير، (294/2) .

3 سورة البقرة، الآية 164 .

4 تفسير المنار، (59/2) .

يقول ا تعالى: ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[1].

ويقول أيضا: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2].

ويقول جل جلاله: ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3].

" يزجي لكم الفلك: أي يسوقها ويدفعها"[4]. أي يجري وييسر لكم الفلك لتبتغوا من فضله بالتجارة والربح وجلب أنواع الأمتعة التي لا تكون عندكم"[5].

قلت: وظلمات البحر أشد من ظلمات البر، بل وأخطر وأشد هولاً أن تكون في سـفينة والجو عاصف، السماء فوقك، والبحر من أسفلك، والليل المظلم يحيط بك، والريـاح العاصـفة والأمواج تلاطم السفينة، وظلمات البر مثلها هذه الأيام من فوقنا قصف، ومن حولنا قنص وأعين ترصد وتكتب، والأرض من تحتنا امتلأت بالأشلاء، والفتن تتلاطم بنا والخيانات، فمن لنا غير ا سواء في البر وظلماته، أو البحر وظلماته، سبحانك إننا ضعفاء وأنت القوي.

يقول صاحب الظلال، وقد ركب البحر متوجهاً إلى أمريكا: "وأشهد ما أحسست ما فـي هذه اللفتة من عمق قدر ما أحسست، ونقطة صغيرة في خِضم المحيط تحملنـا وتجـري بنـا، والموج المتلاطم والزرقة المطلقة من حولنا، والفلك سابحة متناثرة هنا وهنـاك، ولا شـيء إلا

1 سورة الإسراء، الآية 66 .

2 سورة الإسراء، الآية 70 .

3 سورة النمل، الآية 63 .

4 مختار الصحاح، ص 269، المفردات، ص 213 .

5 البحر المديد، (108/4)، معالم التنزيل، (297/3).

قدرة ا ، وإلا رعاية ا ، وإلا قانون الكون الذي جعله ا يحمل تلك النقطة الصغيرة على ثبج[1] الأمواج وخضمها الرهيب"[2].

والآيات الأخرى التي تتحدث عن البحر للملاحة والنقل كثيرة في القرآن الكريم، نورد منها ما يلي:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾[3].

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾[5].

﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[6].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾[7].

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[8].

" وترى الفلك مواخر فيه: أي ترى السفن شواق للماء بجريها. يقال: مخرت السفينة: تمخر مخراً، جرت تشق الماء مع صوت وهي جمع ماخرة[9].

---

1 ثبج: علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه، لسان العرب، (80/2).

2 في ظلال القرآن، (152/1) .

3 سورة إبراهيم، الآية 32 .

4 سورة النحل، الآية 14 .

5 سورة الحج، الآية 65 .

6 سورة الروم، الآية 46 .

7 سورة لقمان، الآية 31 .

8 سورة فاطر، الآية 12

9 لسان العرب، (44/13) .

لقد وردت ألفاظ تدلّ على حركة السفينة في البحر، ومن خلال استعراض الآيات نخرج بهذه الألفاظ وهي:

وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ[1]. وهنا لفظ تجري.

رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ[2]. وهنا لفظ يزجي.

وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ[3]. ولفظ مواخر.

حركة بطيئة، ثم حركة الجري وهي أسرع، ثم وصف لسرعة أكبر وهي مـواخر أي تشق الماء بسرعة مع صوت.

وقد جاء القرآن بوصف الفلك، بالشحن في بعض الآيات، للدلالة على جزء من منـافع تسخير البحر.

قال تعالى:* إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ *[4].

* فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ *[5].

" والمشحون: السفينة ملأها ومملوءة، يقال: شحنت السفينة أي ملأتها"[6].

ونشاهد اليوم هناك سفن معدة لحمل البضائع المختلفة، وأخرى لنقل البترول وهكذا.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ[7].

---

1 سورة إبراهيم، الآية 32 .

2 سورة الإسراء، الآية 66 .

3 سورة النحل، الآية 14 .

4 سورة الصافات، الآية 140 .

5 سورة الشعراء، الآية 119 .

6 مختار الصحاح، ص 331، والمفردات، ص 256 .

7 سورة الشورى، الآية 32 .

قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾[1].

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾[2].

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[3].

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[4].

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[5].

" الجواري: جمع جارية، والجري: السير السريع.

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[6]. أي في السفينة التي تجري في البحر[7].

قلت: ولعلّ أحدهم يقول: أنا لا أركب البحر، ولا أريد أن أركبه، ولا انتفع به، ولا أستفيد منه شيئاً، ويمضي في هذا الكلام! فنقول له: قف وتفكّر، فمعظم ما هو حولك من غذاء ومفروشات وملابس وأجهزة وسيارات وكتب وغيرها هو مما حمِلَ إليك وإلى غيرك في البحر. فإن الشركات في العالم لا تستطيع أن تُرسل بضائعها في الطائرة، حيث التكاليف الباهظة، فتقوم بتحميلها في البحر، عبر البواخر الضخمة والتي هي بحجمها تُشبه الجبل، كما قال ا سبحانه وتعالى *كالأعلام*، وهكذا نفهم المقصود بقوله تعالى *بما ينفع الناس*

---

1 سورة الشورى، الآية 33 .

2 سورة الجاثية، الآية 12 .

3 سورة القمر، الآية 13 .

4 سورة القمر، الآية 14 .

5 سورة الرحمن، الآية 24 .

6 سورة الحاقة، الآية 11 .

7 المفردات، ص 92 .

و*لتبتغوا من فضله*، فهل تحقق ما طلب ا منا في الآيات الســابقة بقولــه تعــالى *لعلكــم تشكرون* والتي تكررت في معظم الآيات تقريباً؟.

سبحانك لا إله إلا أنت، نشكرك ولا نكفرك، فالحمد والشكر ، شكرا يستحق أصغر من هذه النِعم العظيمة، وهذه واحدة من أهمية الماء للبشر.

وهكذا نفهم الآية الكريمة *اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ*[1].

---

1 سورة الجاثية، الآية 12 .

- **المبحث الثالث:**

الثروة البحرية

"البحار منذ القِدم مصدر من مصادر الثروة الدائمة، وينبوع فياض من ينابيع الـرحمن، وعنصر أساسي في ثراء كثير من الأمم، فهي خزائن الرزق الرغد والغِـذاء الـذي يمكـن أن يجاب دون سابق زرع أو ري أو حصاد، وهي إلى جانب ذلك كله مصـدر للكِسـاء ولاـدواء وللحلي، كما أنها حصيلة إنسانية من الشجاعة والجرأة"[1].والثروة البحرية على نوعين:

[1] ثروة حيوانية.

[2] ثروة معدنية.

البحر فيه الحياة، ففيه الكائنات البحرية التي لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2]، فا خلق الكائنات من الماء، وجعل كثيرا منها يعيش في الماء.

الأسماك جاء ذكرها في القرآن الكريم مرتين باسم: اللحم الطري، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3]، وقال أيضا:﴿ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[4].

وجاء ذكر الحوت مرتين في سورة الكهف، في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فتاه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾[5] وقال أيضـا: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾[1].

---

1 فندي، جمال الدين، القرآن والعلم، ص 170 .

2 سورة الأنبياء، الآية 30.

3 سورة النحل، الآية 14 .

4 سورة فاطر، الآية 12 .

5 سورة الكهف، الآية 61 .

وتُعتبر الأسماك أساس الثروة البحرية، وأولى الكائنات المائية بالدراسة والتعمق، ولهذا يقول بعض علماء البحار:" أن صنوف السمك التي تعيش في البحر والمحيطات تزيد على 3. ألف نوع، فسبحان الذي خلق فسوى وأبدع هذه الكائنات في أعماق البحار والمحيطات"[2].

"ووصف السمك بالطراوة لسهولة أكله ولطافته، وفيه إشارة إلى المبادرة إلى أكله فور استخراجه من البحر، فمن المعلوم أن السمك الطازج ألذ للناس في مذاقه ونكهته من غير الطازج، ولهذا تُقام أفخم مطاعم السمك بجانب أماكن صيده ترغيباً للناس بلحم السمك الطري"[3].

وقد وصفه ا بكونه طرياً، لأن الأسماك أحد المصادر الرئيسة للبروتينات الغذائية، فهي سهلة الهضم، إذا ما قارناها باللحوم الأخرى من الحيوانات البرية، ولأن لحم السمك أيضا غني بمادة الفوسفور التي تجلو البصر وتقويه وتساعد الأطفال على أن ينموا نمواً طبيعياً.

" وفي هذه الأيام أخذت بعض الدول في تحويل الأنواع الكبيرة من الأسماك إلى دقيق يصنع منه وجبات شهية تُقدم للجيوش أثناء قيامهم ببعض المعارك البحرية أو المناورات التي تستمر العديد من الأيام"[4].

"وتُصنع من النفايات مادة تُضاف إلى أعلاف الحيوانات والطيور، وذلك لاحتواء الأسماك على نسبة عالية من الدهون والبروتينات والأملاح، ولقد قامت شركات عملاقة في كثير من الدول التي تقع على شاطيء البحار والمحيطات ببناء العديد من المصانع وذلك

---

1 سورة الكهف، الآية 63 .

2 عميرة، الكون والحياة، ص 105 .

3 طهماز، عبد الحميد محمود، تفسير سورة النحل، ط94، من موضوعات سور القرآن، (25/16) .

4 عميرة، الكون والحياة، ص 106 .

لاستخلاص الزيوت من الأسماك، وتُعد هذه الزيوت من أفضل الأنواع لاحتوائها على كميـات عالية من فيتامين أ و د"[1].

[2] الثروة المعدنية:

"إن مصدر الثروة المعدنية في البحار يأتي من السيول الجارفة المتدفقة نحـو البحـار، والتي تجرف معها ملايين الأطنان من المعادن المذابة وغير المذابة، فتستقر في رسوبيات القاع العميق قاع المحيطات، وأيضا الأمطار وعوامل التعرية تقذف في المحيطات سنوياً 5.. مليـون متر مكعب من الرواسب المؤلفة في أكثرها من ملح الكلس، قسم يترسب في أعمـاق البحـر، والقسم الأكبر تحوله الأصناف البحرية، ومنها التي تُفرز اللؤلؤ والمرجان إلى هياكل حجريـة تحمي بها نفسها من الأعداء"[2].

وحوالي ثلاثة أرباع المادة المعدنية الموجودة في البحر هي ملح الطعام نفسـه الـذي نضعه على الأكل، وأكثر من نصف العناصر التي تتكون منها المادة المعدنية اكتشف في البحار والمحيطات[3].

"ولقد أثبت العلماء أنه إذا تمكّن الإنسان من استخراج الذهب الذي تحويه ميـاه البحـار وتقسيمه على جميع سكان الأرض فسوف يكون نصيب كل فرد منهم أكثر من طن من الذهب، هذا بالإضافة إلى معدن النحاس الموجود في قاع البحر، حيث قدرت بعثة الاستكشاف السوفيتية النحاس الموجود في القاع بحوالي 7900 مليون طن"[4].

قال تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[5].

---

1 عميرة، الكون والحياة، ص 106 ـ 107.

2 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 109 .

3 البحر، ص 50 .

4 الشريف، منعلوم الأرض القرآنية، ص 109 .

5 سورة النحل، الآية 14 .

الحلية: بالكسر، اسم لما تتحلّى به الناس، وجمعها حِلي وحلي، يقال: تحلّت المرأة إذا لبست الحلي، وتحلى بالحلي أي تزينت[1].

"والتعبير القرآني: تستخرجوا: يشير إلى كثرة الإخراج، فالسين والتاء للتأكيد، مثل استجاب بمعنى أجاب، كما تشير إلى أن من الواجب على المسلمين أن يباشروا بأنفسهم استخراج ما في البحر من كنوز، وألاّ يتركوا ذلك لأعدائهم"[2].

قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[3].

" واللؤلؤ: يوجد في أنواع من القواقع يتكون في أجسامها نتيجة دخول جسم غريب كحبة رمل أو نقطة ماء، ويختلف هذا الحيوان عن الكائنات الحية في التركيب وطريقة معيشته، فله شبكة دقيقة كشبكة الصياد تسمح بدخول الماء والهواء، وتحول دون دخول الرمل والحصى وغيرها، فإذا ما دخل جسم غريب يفرز جسم القوقعة إفرازاً خاصاً ليحيط بها الجسم الغريب، وبعد زمن معين يتصلّب هذا الإفراز ويتحول إلى لؤلؤ"[4].

" المرجان: المرجان هياكل بحرية مؤلفة من ملح الكلس، بيكربونات الكلس، تفرزهما لتحمي داخلها أجناس بحرية من المجوفات، تعيش في المياه الدافئة، وتمتد شعاب المرجان آلاف الكيلومترات، وعلى عمق يتراوح بين 20 ـ 180 مترا عن سطح البحر مشكّلة منظرا من أروع المناظر البحرية التي خلقها ا ، واللؤلؤ والمرجان قيمة تزيينية، قد تجاوز سعرهما سعر الذهب، كما أن الأحياء البحرية التي تفرزها تلعب دوراً رئيسا في المحافظة على خصائص

1 لسان العرب، (311/3).

2 طنطاوي، محمد سعيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة، مصر، ط1، 1998م، (118/8)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: طنطاوي، التفسير الوسيط.

3 سورة الرحمن، الآيات 19 ـ 22 .

4 في ظلال القرآن، (2934/5)، وانظر: عميرة: الكون والحياة، ص 105 .

البحر، وتوازن البيئة من خلال دورة عنصر الكربون وملح الكلس التي يتـألف منهـا اللؤلـؤ والمرجان"[1].

" فهذا النوع من النفائس لا يوجد إلا في أعماق المياه، حيث المجال الملائـم لتكوينـه، وعندما يخرج إلى الناس تتعاظم قيمته لدى الناس، إذ ليس بوفرة الحصى والقش، وإنه يشـكل أغلى قطع الزينة"[2].

تلوث البحار

يقول ا تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3].

قال بعض العلماء: "الفساد: الشرك وهو أعظم الفساد، وقـال ابـن عبـاس وعكرمـة ومجاهد: فساد البر قتل ابن آدم أخاه، وفي البحر الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا، وقيـل الفساد القحط وقلة النبات، وذهاب البركة، وفساد البحر انقطاع صيده بفساد أهلـه، وكـل هـذا بسبب *الذي علموا* من أجل *لعلّهم يرجعون* لعلّهم يتوبون"[4].

"وفساد البر يكون بفقدان منافعه وحدوث مضاره، مثل: حبس الأقـوات مـن الـزرع والكلأ. وفساد البحر يظهر في تعطيل منافعه وقلّة الحيتان واللؤلؤ والمرجان، ونضـوب ميـاه الأنهار وانحباس فيضانها الذي به يستقي الناس"[5].

" واليوم فإن إنسان هذا العصر وهو الظلوم الجهول، الخصـيم المبـين، المفسـد فـي الأرض كما وصفته الآيات، يعتدي أيضا على البحار ويفسد ماءها فيجعلها مكباً لنفاياته ونفايات

---

1 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 1.9 .

2 شاكر، عبد الجبار، القرآن يفك لغز الأرض، ط1، 1985، مطبعة أسعد، بغداد، ص 87 .

3 سورة الروم، الآية 41 .

4 تفسير القرطبي، (28/13) .

5 تفسير القرطبي، ص 28.

معامله وبواخره، ومستودعا لبقايا معامله الذرية، ومسرحا لتجارب أسلحته الفتـّاكة، فعلى سبيل المثال لا الحصر فلقد رمى الإنسان في سنة 1979 ملايين الأطنان من بقايا المواد البتروليـة، و5. طناً من مشتقات معدن الزئبق السامة، و 250 ألف طن من مشـتقات معـدن الرصـاص السامة أيضا، وملايين الأطنان من فضلاته ونفايات معامله الصناعية، فتغيرت حرارة البحـار والمحيطات وملوحتها، وانعكس ذلك سلباً على الثروة الحيوانية والنباتية البحرية والمناخ. ومنذ 30 سنة وحتى اليوم نقصت الثروة الحيوانية من الأسماك إلى 3.% مما كانت عليـه، وقُضـي على 94% من الحيتان، وتضاءل عدد الطيور البحرية، واختفى القسـم الأكبـر مـن شِـعاب المرجان، وأصبح القسم الباقي مريضاً ملوثاً"[1].

وقوله تعالى: * بِما كسبتْ أَيْدِي الناسِ* أي: بشؤوم ذنوبهم"[2]. وعقاب بعض * الَذِي عمِلُوا* من الكفر والمعاصي، ولو استقاموا على الطاعة وعدم الإفساد لـدفع ا عـنهم هـذه الآفات في البحر أو في البر * لَعلهم يرجِعون* عما هم عليه من المعاصي"[3].

وبما أننا نتحدث عن الإفساد في البحر بما كسبت أيدي الناس يعنـي بسـبب أعمـالهم ومعاصيهم حري بنا أن نعرف كيف يفسد الإنسان هذا البحر، أو بمعنى آخـر أسـباب تلـوث الماء.

فلقد أدت الزيادة الهائلة في عدد السكان والتقدم الصناعي والتقني والتوسـع الزراعـي بالإضافة إلى عدم اتباع الطرق المناسبة في معالجة مصادر التلوث وانعدام التخطيط السليم، إلى تلوث عناصر البيئة كالأرض والمياه والهواء.

---

[1] شريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 137 .

[2] معالم التنزيل، (234/4) .

[3] تفسير القرطبي، (28/14)، وانظر: البحر المديد، (350/5) .

" أما تلوث المياه فيعرف بأنه أية مخلفات من أي مصدر من المصادر يكون من شأنها التأثير على المياه واستخداماتها المختلفة، ويؤدي التلوث إلى حدوث تغير في درجـة حـرارة الماء، والرائحة والطعم واللون"[1].

" ومصادر التلوث المائي هي:

[1] **المياه العادمة:** وهي عبارة عن المياه الناتجة عن النشاطات البشرية المختلفـة لأنهـا تحتوي على مكونات عضوية وغير عضوية، وجرثومية وإشعاعية وحرارية وهي على أنواع:

- المياه العادمة المنزلية.
- المياه العادمة الصناعية.
- المياه العادمة الزراعية"[2].

- **التلوث بالنفط:**

فإن استخراج النفط من اليابسة يؤدي إلى تسربه إلى المياه الباطنية في جـوف الأرض وإلى البحار، كما يحدث أن تنقلب سفن الشحن الخاصة بنقل النفط، وهذا يؤدي إلى تلوث البحار والمحيطات.

- **التلوث بمياه الأمطار:**

تجمع الأمطار الغبار والأكاسيد والنيتروجين والكبريت من الجو، مما يؤدي إلى سقوط أمطار حامضية، خاصة في المناطق الصناعية الضخمة.

---

1 أبو سمور، د. حسن، وعلي غانم، المدخل إلى علم الجغرافيا الطبيعية، دار صفاء للنشر، عمـان، ط1، 1419 هـ/ 1998م، ص 109، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: أبو سمور، المدخل إلى علم الجغرافيا .

2 المصدر نفسه، ص 109 ـ 110 بتصرف.

- تلوث بأنواع الفضلات الصلبة:

"وخاصة في المدن الساحلية وما فيها من صناعات كيماوية"[1].

وللحد من التلوث المائي والمحافظة على عصب الحياة والأحياء وردت تشريعات حكيمة في الإسلام نجدها في آيات وأحاديث نبوية شريفة تعلم العالم بأسره كيف نحافظ على الماء. لقد نهى القرآن الكريم عن الفساد في الأرض في آيات عديدة، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2]. "وهو لفظ يعم دقيق الفساد وجليله"[3].

ولا شك أن من أهم المصادر الطبيعية في الأرض المنهي عن الإفساد فيها هو الماء بكل أشكاله وصوره، من أنهار وبحار ومحيطات، وفي السنّة المطهرة نجد أحاديث دعت إلى الاقتصاد في الماء ولو كان على نهرٍ جارٍ. ولقد نهى الرسول صلى ا عليه وسلم عن التبول في الماء الدائم، وهذه قمة المحافظة على مصادر المياه من التلوث بالأمراض والديدان المعوية والنجاسات.

قال صلى ا عليه وسلم:(لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه"[4].

وهناك أحاديث أخرى في الوقاية والمحافظة على مصادر المياه، ويكفي ما ذكرناه لتبيان سبق الشريعة الإسلامية في سن هذه التشريعات والتي تُعقد اليوم لأجلها مؤتمرات دولية لإنقاذ الأرض من إفساد القرن الحادي والعشرين.

---

1 أبو سمور، المدخل إلى علم الجغرافيا، ص 109 ـ 110 بتصرف .

2 سورة الأعراف، الآية 85 .

3 تفسير القرطبي، (158/7) .

4 البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الدائم، حديث رقم 239، (237/1) .

ـ المبحث الرابع:

الماء عَصب الأحياء

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

"وهذه الحقيقة الضخمة التي يعرضها القرآن بهذه البساطة حقيقة أن كل دابة من ماء قد تعني وحدة العنصر الأساسي في تركيب الأحياء جميعاً وهو الماء"[3].

" والدابة كل ما دب على وجه الأرض من الحيوان. يقال: دب يدبً فهو داب، والهاء للمبالغة[4]، وقال المفسرون: من ماء أي من نطفة، أي مني الذكر، وأن كل حيوان خُلِقَ من ماء كما خلق آدم من ماء وطين، فهو الماء الحقيقي. ومنهم من يمشي على بطنه مثل الحيات ونحوها من الدود وغيره. وعلى الرجلين مثل الإنسان والطير إذا مشى، والأربع لسائر الحيوان. والدابة تشمل ما يعقل وما لا يعقل"[5].

"*والله خَلَقَ كُل دابةٍ مِن ماءٍ* يكشف لنا عن سر من أسرار الحياة أدركه العلماء حديثاً، وعلماء الأحياء يعتقدون أن الحياة بدأت من مياه المحيطات المالحة الأولى، ولكن قليلاً منهم يعتقدون نظرية أن الحياة بدأت في الماء العذب، والحياة لم تبدأ في الماء فحسب بل يمكننا أن نقول دون أن نحيد عن الدقة العلمية إن الحياة لم تترك الماء قط، فجميع صور الحياة تستمر بفضل البروتوبلازم، وتمارس نشاطها داخله. والبروتوبلازم مادة لزجة معظمها من الماء، وهي

---

1 سورة الأنبياء، الآية 30 .

2 سورة النور، الآية 45 .

3 في ظلال القرآن، (2523/4) .

4 المفردات، ص 164، وانظر: لسان العرب، (276/4).

5 تفسير القرطبي، (192/12)، فتح القدير، (50/4) .

تُعتبر قوام الخلايا الحية، وعليها يعتمد النمو والتكاثر، وهي تتمتع بخصائص متعددة حصـيلتها الحياة نفسها وتتألف الوحدة لبروتوبلازمية في النواة والحشوة والغشاء البلازمي، فالماء أساسي للبروتوبلازم، والبروتوبلازم أساس الحياة، وجسم الإنسان يشتمل على ألف مليار خلية في تقدير العلماء، وكل خلية معظمها من سائل مائي"[1]. هذا إعجازاً علميا لم يكتشفه العلماء إلا من فترة قريبة، هذا هو القرآن لا يخلو ولن يخلو من إعجازاته العظيمة.

يقول تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾[2].

" يتخلّق الإنسان (الجنين) من ماء (ماء الرجل وماء المرأة)، وماء الرجل هـو المنـي الذي يقذفه الرجل حين الجماع، وهذا المني يتألف من ماء نسبته حوالي 85% من الماء، و5% من عشرات المواد الكيميائية، وهرمونات وأملاح معدنية وغيرها، والعلم كشف جزءاً منها وما زال يكشف الجديد عنها، و0.1% من السلالات، أي مجموعات الحيوانات المنوية، وتعدادها عادة مئة مليون في المليلتر الواحد، علماً أن حيواناً منوياً واحداً يكفي لتلقيح البويضة عند المرأة"[3].

ولا تعطي النطفة نسلاً إلا إذا أمناها ا بمعنى قدرها خلقاً[4].

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[6].

---

1 طبارة، روح القرآن الكريم، تفسير سورة النور وأحكامها، ص 96 .

2 سورة الطارق، الآيات 5 ـ 8 .

3 الشريف، من علم الطب القرآني، ص 71 .

4 تفسير القرطبي، (77/17).

5 سورة النجم، الآيتان 45 و 46 .

6 سورة السجدة، الآية 8 .

وماء مهين: هو الماء الناتج عن التقاء ماء الرجل مع ماء المرأة، أي الحيوان المنـوي مع البويضة، ومهين هنا أي ضعيف[1].

وماء المرأة: وهو جسيم يوجد في مبيضي المرأة، وتفرز المرأة كـل شـهر بويضـة واحدة، ويمكن أن تفرز بويضتين من كل مبيض بويضة. فينشأ مع الخلايا التي تحيط بالبويضة ما يسمى بماء المرأة.

أَفَرَأَيْتُـمْ مَا تُمْنُونَ ءَأَنتُـمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ*[2].

لا يصير خلقاً إلا إذا أمر ا بذلك، والمقصود عملية التلقيح، تلقيح الحيـوان المنـوي للبويضة، وهي عملية معقّدة. ويقر العلماء أن العلم لا يستطيع أن يخلق جزءاً من نواة خليـة، رغم معرفتهم بكثير من دقائق تركيبها، ومن هنا نفهم معنى التحدي القرآني القائم إلى يوم الدين في قوله تعالى: * ءَأَنْتُم تَخْلُقُونَه أَم نَحن الْخَالِقُون *، سبحانك يا خالق، خالق كل شيء.

"* خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقٍ* ومعنى دافق: دفق الماء: انصب، والاندفاق: الإنصباب[3] وليس فقط ماء الرجل الذي يخرج بشكل ماء دافق، بل إن البويضة التي تخرج مـن المبـيض عنـد المرأة، أي تخرج بشكل ماء دافق، وتنضج كتلة السائل الموجودة في جريـب المبـيض دافقـة ودافعة للبويضة مع السائل، إلى تلافيف أنبوب الرحم، وهناك تتلقّح مع حيوان منوي واحد، ثـم يلتقطها الرحم مثل بذور بعض النباتات التي ينفجر غلافها عندما تبلغ مرحلة النضج"[4].

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (ما من كـل المـاء يكون الولد، وإذا أراد ا خلق شيء لم يمنعه شيء)"[5].

---

1 لسان العرب، (212/13).

2 سورة الواقعة، الآيتان 58 ـ 59 .

3 لسان العرب، (373/4).

4 الشريف، من علم الطب القرآني، ص 71 ـ 77، بتصرف.

5 صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب النكاح، حكم العزل (12/10).

وهذا الحديث من الإعجاز في السنّة النبوية، حيث أننا نعلم الآن أنه لا يلزم للتلقيح كـل ماء الرجل، وإنما يكفي حيوان منوي واحد في الغالب، فالدفقة الواحدة تحمـل مـائتي مليـون حيوان منوي، والذي يلقّح البويضة حيوان منوي واحد فقط.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده: أن يهوديا مر برسول ا صلى ا عليه وسـلم وهـو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلاّ نبي، فقال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟ فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم:(يا يهودي من كلٍ يخلق، من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة)، فقال اليهودي: هكذا يقول من كان قبلك ـ أي من الأنبياء ـ [1].

ولعل هذا الحديث يفسر آية: ❋ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ❋[2].

الأمشاج: أخلاط من مني ودم، ثم ينقل من حال إلى حال، ويقال: نطفه أمشـاج لمـاء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها[3].

ويقول ا تعالى: ❋ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ❋[4].

" النسب: نسب القرابات، وقيل هو في الآباء خاصة"[5].

" الصهر: القرابة، والصهر: حرمة الخُتونة، والأصهار: أهل بيت المرأة"[6].

" الختن: كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها، وكذلك زوج البنت، أو زوج الأخت والجمع أختان"[1].

---

1 مسند الإمام أحمد، حديث رقم (4206).

2 سورة الإنسان، الآية 2 .

3 لسان العرب، (111/13).

4 سورة الفرقان، الآية 54 .

5 لسان العرب، (118/14).

6 المصدر نفسه، (428/7)، وانظر: المفردات، ص 287 .

" أي وا ، سبحانه الذي خلق الإنسان من نطفة ضعيفة، فسواه وعدله، وجعلـه كامـل الخِلقة، ذكرا وانثى كما يشاء، فقسمه قسمين: ذكورا تنسب إليهم الأنساب، وإناثا يصاهر بهـن، وكان ا قديراً بالغ القدرة على كل شيء من هذا وغيره"[2].

"والخلاصة أن الماء أصل جميع الأحياء، وهو الذي ينزل إليه أمر التدبير والتكوين"[3].

---

1 المصدر نفسه، (26/4).

2 التفسير المنير، (85/19).

3 معالم التنزيل، (140/4).

- **المبحث الخامس:**

الماء للتنظيف والتطهير

"الطهارة ضربان: طهارة جسم، وطهارة نفس، وحمل عليها عامة الآيات"[1].

" الطَهور في اللغة: هو الطاهر المطهر، لأنه لا يكون طهوراً إلا وهـو يتطهـر بـه، كالوضوء هو الماء الذي يتوضأ به. وسئل رسول ا صلى ا عليه وسلم عـن مـاء البحـر، فقال: (هو الطهور ماؤه الحِل ميتته)[2]، أي المطهر. أراد أنه طاهر يطهر"[3].

يقول ا تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾[4].

" طهورا:يتطهر به، كما يقال: وضوء للماء الذي يتوضأ به، وكل طهور طاهر ولـيس كل طاهر طهور"[5].

" والطهارة لغة: النظافة، وشرعا: النظافة عن النجاسة من الحـدث الأكبـر، واسـمها الخاص غُسل، أو الحدث الأصغر واسمها الخاص الوضوء"[6].

قال تعـالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾[7].

---

1 المفردات، 307 .

2 سبق تخريجه.

3 لسان العرب، (211/8).

4 سورة الفرقان، الآية 48 .

5 تفسير القرطبي، (28/13) .

6 الفقه المنهجي، (27/1) .

7 سورة المائدة، الآية 6 .

وقال أيضا:* وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا *[1].

" فإن للجلد شأناً عظيماً في وقاية البدن وصيانته، كما أن له وظائف شتى جليلـة فـي سلامة سائر الأعضاء الرئيسة في الجسم وحسن سيرها وسلامتها، فالجلد يفرغ العرق، ويـنظّم حرارة الجسم، وينقل إحساسات اللمس كلها للدماغ، وينقل أحاسيس الألم والحرارة والبرودة، من أجل ذلك تجب العناية بالجلد ومن ثم الجسم كله.

والقاعدة العامة لذلك هي النظافة، بالغسل أو الاغتسال يوميا - إن أمكـن - بإفاضـة الماء على البدن كله، وإن لم يمكن هذا وغسل ما يظهر منه دائما كاليدين والوجه[2].

والآية في سورة المائدة تطلب هذا الأمر، وتجعله شرطاً لقبول العبادة، وجعلت الوضوء شرطاً لصحة الصلاة.

* إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ *[3].

كدافع ومشجع للإنسان المؤمن الذي يسعى لحب ا أن يكون محباً للطهـارة، سـواء بالوضوء أو بالاغتسال.

وصلاة الجماعة تستلزم النظافة، وصلاة الجمعة تستلزم غُسل الجمعة أو مثل الوضـوء لمن أكل ما مسته النار، أو من أكل لحم جزور، ثم غُسل العيدين، ثم الإسـباغ فـي الوضـوء وتخليل الأصابع.

والماء في الشرع جاء لتنظيف ما يلحق بالإنسان مـن بيـت وفنـاء وأوانٍ وملابـس، وجاءت أحاديث كثيرة في ذلك، وقول الرسول صلى ا عليه وسلم للصحابة: (أريقوا عليه دلو ماء) يدل على تأكيد الرسول صلى ا عليه وسلم على نظافة وطهارة المسجد والبيت.

---

1 سورة المائدة، الآية 6 .

2 عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، ص 64 بتصرف.

3 سورة البقرة، الآية 222 .

فعن أبي هريرة رضي ا عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقـال لهم صلى ا عليه وسلم:" دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذَنوباً من ماء[1]، فإنمـا بعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين"[2]. وهذا يدل على تأكيد الرسول صلى ا عليه وسلم علـى نظافة وطهارة المسجد والبيت وخلوه من النجاسات.

ويشترط الإسلام إزالة عين النجاسة، وإن تغير لون أو رائحة أو طعم الماء أو الطعام، دليل على وجود الميكروبات، وبهذا يكون نجس في نظر الدين، أي ملوث فـي نظـر الطـب الحديث، وكثيرا ما يشير القرآن إلى النجاسة والميكروب بكلمة رجس

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾[3].

"الرجس: القذر، وقيل الشيء القذر"[4].

"والرجس على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما مـن جهـة الشرع، وإما من كل ذلك كالميتة، فإن الميتة تُعاف طبعاً وعقلا وشرعا، والرجس مـن جهـة الشرع: الخمر والميسر، وقيل إن ذلك رجس من جهة العقل وعلى ذلك نبه بقوله تعالى:

﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[5]، لأن كل ما يوفي إثمه على نفعه فالعقل يقتضـي تجنبـه، وجعل الكافرين رجساً من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[6]، ومن جهة الشرع: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾[1][2].

---

1 سجل: السجل: الدلو المملوء ماء، لسان العرب، (180/6)، والذنوب: الدلو، لسان العرب(64/5).

2 صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، حـديث رقـم 220، (431/1) .

3 سورة الأنعام، الآية 145 .

4 لسان العرب، (147/5).

5 سورة البقرة، الآية 219 .

6 سورة التوبة، الآية 125 .

ووصف الاغتسال وغسل الأيدي والأواني والتنظيف بالتطهير مـن الـرجس ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[3].

"رجز الشيطان: ما يدعو إليه من الكفر والبهتان والفساد"[4].

---

1 سورة الأنعام، الآية 145 .

2 المفردات، ص 188 .

3 سورة الأنفال، الآية 11 .

4 المفردات، ص 188 .

الفصل الرابع

أثر الماء في الطبيعة

الفصل الرابع

تأثير الماء على الطبيعة

عندما نقول تأثير الماء على الطبيعة فإننا نعني هذا الكون من حولنا بكل ما فيه من سماء وأرض ونجوم وشموس وأقمار، والذي يهمنا هنا تأثير الماء على الطبيعة المتمثلة في الأرض من تربة وجبال وصحارى.

فالماء له الدور الكبير، بل الدور الأساسي في إنبات النبات، وفي بقاء الأرض حية، وفي تشكيل سطح الأرض، من خلال عمليات النحت والنقل والترسيب.

لم يترك شيئا من هذا الكون إلا وكان له دور فعال فيه، فهو كما أشرنا سابقا سر الحياة وأساس البقاء، والآن سنرى دور الماء وتأثيره على التربة والجبال والصحارى.

ــ المبحث الأول: تأثيره على التربة:

"التربة هي الطبقة الهشّة التي تُغطي صخور القشرة الأرضية، والتي توجد بسمك يتراوح بين بضع سنتمترات وعدة أمتار، وتتكون التربة من مزيج من المواد المعدنية، والمواد العضوية، والماء، والهواء. وتُعد التربة من أهم مصادر الثروة الطبيعية المتجددة، حيث أن معظم موارد الإنسان الذي يعتمد عليها بصورة مباشرة (غذاء نباتي) أو بصورة غير مباشرة (غذاء حيواني) يأتي من التربة"[1].

يقول الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[2]. وقال: ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾[3].

---

1 غرايبة، المدخل إلى العلوم البيئية، ص 37 ـ 39 بتصرف.

2 سورة يس، الآية 33 .

3 سورة الفرقان، الآية 49 .

"فالماء أحد مكونات التربة، وبه تكون حياة التربة كما قال الله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾[1].

"أي أوجد بسببه الحياة في الأرض الميتة بخلوها من صفات الأحياء كالنمو والتغذّي والنتاج. وبث: أي نشر وفرق في أرجائها من جميع أنواع الأحياء التي تدب عليها، وهي التي لا تعد ولا تُحصى. فبالماء حدثت حياة الأرض بالنبات، وبه استعدت لظهور أنواع الحيوان فيها"[2].

" فقد شارك الماء ابتداءً - بقدرة الله - في جعل تربة الأرض السطحية صالحة للإنبات عندما كانت ملتهبة وصلبة لا تصلح لإنبات النبات، ولقد تم ذلك بتعاون الماء والعوامل الجوية الأخرى، على تحويلها إلى تربة لينة سهلة، ثم ظل الماء يشارك في إخصاب هذه التربة، وذلك بإسقاط النيتروجين من الجو كلما أبرق فاستخلصت الشرارة الكهربائية التي تقع في الجو النيتروجين الصالح للذوبان في المادة، والذي كان يسقط مع المطر فأعاد إلى الأرض خصوبتها"[3].

" هذا ويلعب الماء دوراً هاماً في إعطاء التربة العديد من الخواص الكيميائية والفيزيائية والحيوية، ويعمل كذلك كمحلول مذيب تنقل بواسطته المواد الغذائية إلى النباتات الخضراء والعديد من الكائنات الحية التي تعيش في التربة، ويقصد بماء التربة المياه التي يمكن فصلها أو تبخيرها من التربة عند تجفيف عينة التربة تحت درجة حرارة 105 مئوية، أما القسم الآخر من المياه التي لا يمكن تبخيرها تحت درجة الحرارة هذه، فيكون متّحداً مع المكونات المعدنية للتربة، ولا يعد من ماء التربة. أما بالنسبة إلى الهواء فهناك علاقة عكسية بين نسبة الماء ونسبة الهواء، فالماء والهواء يشغلان المسامات الموجودة في التربة، فعند دخول الماء إلى

---

1 سورة البقرة، الآية 164 .

2 تفسير المنار، (61/2) .

3 عميرة، الكون والحياة 102 .

مسامات التربة يطرد الهواء، وعند خروج الماء بواسطة الصرف أو التبخّـر أو النـتح يعـود الهواء ويملأ المسامات من جديد"[1].

قال تعالى يصف الأرض وقدرتها على امتصاص الماء: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

" * وغِيض الْماء *: غاض الماء يغيض غيضا، نقص أو غار فذهب"[3].

"جاءت هذه الآية ضمن آيات تحدثت عن قوم نوح عليه السلام في سورة هود، يخبـر أنه لما أغرق أهل الأرض كلهم إلا أصحاب السفينة، أمر الأرض أن تبتلع ماءها الذي نبـع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر"[4].

"ثم إن هذه المياه عندما تنزل من السماء وتسيل أودية، فإن لها قدرة هائلة على النحـت وتشكيل سطح الأرض، تفوق كثيراً قدرة الرياح، فقد استطاعت المياه أن تحفر ودياناً عظيمـة الضخامة، فكلما سالت المياه وازدادت عمليات النحت الجانبي لتوسعة الوادي كما تـؤدي إلـى تعميق المجرى، وذلك بعمليات النحت الرأسي بسبب هطول الأمطار، والماء ينقل في حمولتـه الرواسب، بل إنها أقدر على حمل الفتات الصخري الكبير نسبياً، بل قد تستطيع أن تدفع أمامها كُتلاً صخرية كبيرة عندما تهبط على جوانب المرتفعات، كما أنها تُذيب الكثيـر مـن الأمـلاح وتنقلها وهي مذابة إلى التربة"[5].

قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾[6].

---

1 غرايبة، المدخل إلى العلوم البيئية، ص 38 .

2 سورة هود، الآية 44 .

3 لسان العرب، (157/1)

4 تفسير ابن كثير، (447/2).

5 شرف، الجغرافيا الطبيعية، ص 293ـ 294 .

6 سورة الرعد، الآية 17 .

- المبحث الثاني: تأثير الماء على الجبال:

"الجبال هي الأراضي التي تبدو مرتفعة المنسوب لما يجاورها من أراضٍ، ويحدد بعض الجيولوجيين أن الجبال تقع فوق منسوب 2000 قدم فوق مستوى سطح البحر. والجبل جزء لا يتجزأ من قشرة الأرض الصلبة، له جذوره العميقة فيها"[1].

"والجبال هي العامل الرئيس في تخزين المياه العذبة، وتثبيت التربة، ولولا الجبال لذهبت أكثر المياه المتساقطة من السماء إلى البحر دون أن تَختزن في الأرض، ولانجرفت معها التربة"[2].

"وتعمل المياه المتساقطة والجارية، وأشكال الجريان كافة، مثل الأنهار والأودية والجداول، على تشكيل سطح الأرض من خلال عمليات النحت والنقل والترسيب، وتزداد عمليات النحت المائي في البيئات الرطبة ذات السطوح المنحدرة والشديدة الوعورة.

وتبدأ عملية النحت المائي عن طريق وادٍ ابتدائي عبارة عن سيل ناجم عن تجميع المياه، عقب الأمطار على مساحة من الأرض شديدة الميل، وعادة ما تحدث هذه العملية في المناطق الجبلية، ومع استمرار جريان الماء في الأودية والمجاري الرئيسة يستمر عمله في نحت السفوح، مما يؤدي إلى حدوث انجراف التربة السطحية، وحدوث الانزلاقات التي تحملها المياه الجارية، وتستمر في عملية تعميق وتعريض الأودية لمجاريها، ويصبح سطح الأرض دائم التغيير بسبب استمرار جريان الماء"[3].

"أي أن المجرى النهري والوادي وسفح الجبل وتربة الجبل في تغير وتجدد من زمن إلى آخر، أي أن الجبل يتجدد.

---

1 أبو العينين، كوكب الأرض، ص 475 . عميرة، الكون والحياة، ص 83 .

2 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 49 .

3 أبو سمور، المدخل إلى علم الجغرافيا الطبيعية، ص 140 .

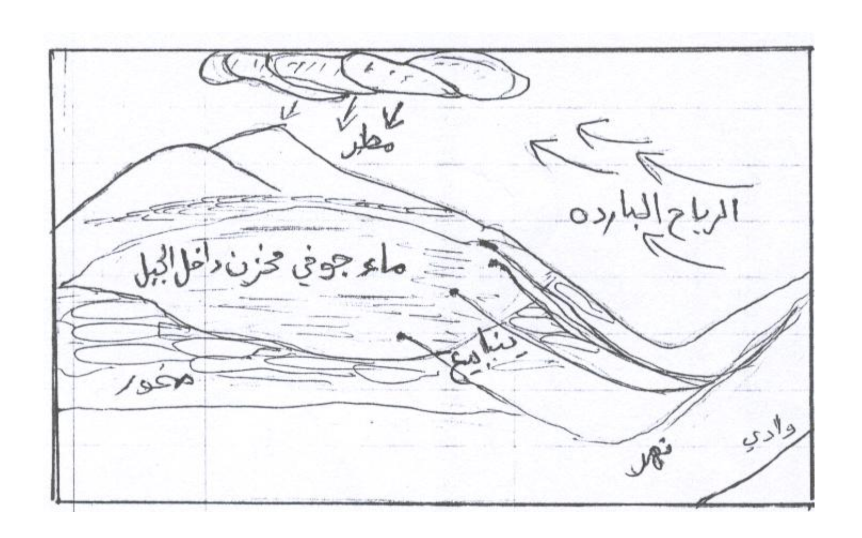
وفي التنزيل آيات تؤكد العلاقة بين الجبال ونزول المطر والينابيع في الأرض:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾[1].

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾[2].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾[3].

"والآية الأخيرة تتحدث عن جبال شامخات، ولقد أكد العلماء أن أكثر الجبـال أمطـاراً أكثرها علواً وشموخاً، كما أن الجبال هي الخزانات العظيمة التي تتجمع فيهـا ميـاه الأمطـار لتخرج ينابيع وعيونا تجري أنهاراً بها من كل مكان"[4].



شكل (1) تأثير الرياح على تكوين المطر في المرتفعات الجبلية

نقلاً عن كتاب الكون والإنسان

---

1 سورة الرعد، الآية 3 .

2 سورة النمل، الآية 61 .

3 سورة المرسلات، الآية 27 .

4 دفضع، الكون والإنسان بين العلم والقرآن، ص 95 ـ 96 .

أما ما تؤثر به المياه على الجبال بصورة أوضح وأكثر فهو تساقطها على قمة الجبـل، وعمليات النحت الحاصلة لتربة الجبل وخصوبة الجبل من الناحية الممطرة في الجبل، ثم أكثـر من هذا كله تلوين الجبال بألوان وأشكال من الخضرة والنباتات، وأنواع الصخور والتربة، وهذا ما تُحدث به الآية الكريمة:

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[1].

وجدد: يعني الجد القطع من الأرض المستوية،وجد أي جد في أمره صار جاداً. وجـد وجديد أي كل حديث العهد والإنشاء، ومجدود أي مسلوك مقطوع، لأنه طريق مسلوك، والجـد الغنى والعظمة كما في *وأنه تعالى جد ربنا*[2].

"وهذه الجبال متجددة وغنية بما فيها من ماء ومعادن وأحجار كريمة ورخـام مختلـف الألوان، فهي مصدر ثروة وغنى"[3].

إن اختلاف الألوان هو إحدى آيات ا في كونه، فاختلاف ألـوان الثمـار والزهـور، واختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام، كذلك اختلاف ألوان الجبال والصخور والرمال، فالماء واحد، إذن ما هذا الاختلاف، أم أنها سنة إلهية حكيمة تدل على الوحدة والرحمة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[4].

---

1 سورة فاطر، الآية 27 .

2 سورة الجن، الآية 3 .

3 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 50 .

4 سورة فاطر، الآيتان 27 و 28 .

" فمن يتدبر هذا الكتاب ويعرف ا معرفة حقيقية ويستشعر عظمته وإبداعه فهم الـذين يخشونه ويتقونه"[1].

لقد لفتت الآية الأنظار للجبال، لأنها الواضحة المشاهدة لأعين الناس على عكس التربـة التـي تحتاج إلى حفر واكتشاف لاختلاف الألوان في صخورها.

" من الظاهر أن المراد بيان اختلاف الألوان في الصخور، ونظيره اختلاف الألوان في أقسام من الأرض على مستوى السطوح، وعلى مستوى الأعماق وطبقات الأرض، لاخـتلاف العناصر في ذرات كل منها.

وجاء ذكر الأبيض لأنه الجامع لكـل ألـوان الطيـف السـتة: البنفسـجي، والأزرق، والأخضر، والأصفر، والبرتقالي، والأحمر.

وجاء ذكر اللون الأحمر على وجه الخصوص لأنه الموجة الضوئية التي يرى النـاس من طيفها اللون الأحمر هي أطول الموجات الضوئية التي تستطيع أعين الناس رؤيـة ألـوان طيوفها.

وجاء ذكر الأسود لأن السطح الذي تراه أعين الناس أسود قد امـتص كـل الأمـواج الضوئية التي ترى أعين الناس طيوفها، فالأسود يمثّل انعدام اللون بالنسبة إلينا"[2].

"* مخْتَلِفٌ أَلْوانُها * جاءت هذه العبارة للدلالة على أن الأقسام: البيض والأقسام الحمر مختاف ألوانها، مختلفة في الدرجات فيما بينها، فالبيض متفاوتة الـدرجات، والحمـر متفاوتـة الدرجات، ويقاس عليها سائر الألوان.

---

1 في ظلال القرآن، (2943/5).

2 معارج التفكر (152/7) .

* وغَرابِيب سودٌ * غربيب: جمع غربيب، وهو الأسود المتناهي فـي السـواد، شـبه للغراب، بوزن قنديل أي شديد السواد"[1].

" فلم تُجمع مع البيض الحمر، وذكر ذلك يشير إلى وجود أشياء يراها النـاس سـوداء، لكنها في حقيقتها مختلطة بألوان قريبة من السواد المتناهي في السواد. وجاء ذِكر لفظ "سود" بعد ذكر "غرابيب" بدلاً شارحاً للمراد بلفظ غرابيب، إذ كلمة غرابيب قليلة الاستعمال، وجمِع بينهما للدلالة على التناهي في السواد"[2].

" ويعود سبب ذلك ـ وا أعلم ـ إلى ما اكتشفه العلم الحديث من أن الأجسام السوداء هي في الحقيقة أجسام معتمة لا لون لها، فالجسم الأسود هو ذلك الجسم الذي يمـتص الأشـعة الساقطة عليه، بمعنى آخر فإنه يمتص كل ألوان الطيف ولا يعكس أي لون منها فيظهر معتمـاً أسود.

والغرابيب يدل على أشد من معنى أسود، فكان مقتضى الظـاهر أن يكـون غرابيـب متأخرا على سود، لأن الغالب أنهم يقولون: أسود غربيب، ولا يقولون غربيب أسود، والكـلام على التأخير والتقديم لغرض التوكيد"[3].

" فإن هذه الأجسام تُعد أجساماً معتمة تماماً، فهي مثالية في سوادها وعتمتها، لذلك فهي مثالية أيضا في امتصاصها للضوء، فلا تعكس أي لون ساقط عليها، فهي أجسام معتمة تمامـاً ولا لون لها"[4].

---

1 المفردات، ص 470، مختار الصحاح، ص 359 .

2 معارج التفكر، ص 153 .

3 التحرير والتنوير، (150/22) .

4 الدليمي، م. أحمد عامر، الماء والأرض: دراسات قرآنية، ص 30 .

"هذه الجبال التي وصِفَت بالغرابيب السود منها ما هو أسود مثل جبال الحديد، ومنها ما هو أصفر مثل جبال النحاس والذهب، ومنها ما هو أبيض مثـل جبـال الكلـس، أو الصـخر الطباشيري، أو جبال الفضة والفسفور.

ثم إن هناك الجبال ذات التربة الصالحة للزراعة والمغطاة بالعشـب الكثيـر، والخيـر الوفير ذات اللون الأخضر شديد الخضرة، وإذا كانت هذه الأشجار تحمل ثمـاراً أو زهـوراً، فانظر إلى اللون الذي سيظهر به الجبل.

وقد اكتشف العلماء القطب الجنوبي عام 1820م، وتبين أنه قارة جبلية جليدية ترتفع إلى 1500 متر، وهذا الجبل الهائل من الجليد المتجدد منذ مئات الملايين من السنين، يشـكل 90% من مخزون المياه العذبة التي أودعها ا في الأرض"[1].

"ولا ننسى أن لونه أبيض، وهو بفعل الماء المتجمد، وهو حالة من حالات الماء الثلاث، وبفعل الماء وتوسيعه الطبقات الصخرية، والحفر في أعماق الجبال تحدث المياه فجوات تُعرف بالكهف أو المغارات، أو عندما تجفّ خزانات المياه التي تجمعت في باطن الأرض تبقى تلـك الفجوة الهائلة والتي هي مغارة جديدة حفرتها المياه في الجبل، وهذا ما قالته الآية الكريمة:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾[2].

أكنانا: الكُن ما يحفظ فيه الشيء ويستر، وأكناناً: الكنان الغطاء الذي يكن فيه الشيء"[3].

والمقصود المغارة أو الكهف أوالغار. كما كان رسول ا صلى ا عليه وسلم يسـتتر من أعين قريش في غار حراء ويمكث فيه الليالي، وهذه نعمة من ا أوجدها ا بفعل المـاء، فكان للماء دور عظيم في تكوين الجِبال.

---

1 الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص 50 .

2 سورة النحل، الآية 81 .

3 مختار الصحاح، ص 580، المفردات، ص 442 .

- **المبحث الثالث:**

تأثير الماء على الصحارى

"ليس من السهل وضع تعريف دقيق للصحراء أو المناطق القاحلة، ولكن تتصف الصحراء بتساقط للمطر يقل عن 2.. ملم سنويا، وبمعدلات تبخّر تفوق التساقط"[1].

لذا نجد القرآن الكريم يذكر لفظ جبل، وادٍ، نهر وغيرها، ولكن لا يذكر لفظ صحراء، ويعبر عنها بلفظ آخر وهو ما ينتج عن التساقط القليل، وارتفاع نسبة التبخر من قلة للمزروعات أو انعدامها، وتُشكل منطقة قاحلة جافة.

يقول ا تعالى: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾[2].

ولما أراد أن يذكر الأرض القاحلة وهي أرض مكة، وهي جزء من الصحراء العربية في شبه الجزيرة العربية قال: ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾"[3].

فهذا الوادي كما جاء ذكره في القرآن، وفي السنّة لم يكن به إنس ولا أي شيء، جاف قاحل، لذا عبر عنه بغير ذي زرع، وإنها حقيقة قرآنية عظيمة تُنبه لأثر الماء في تشكيل الصحارى والمناطق الجافة.

"وتمثل الصحارى التجمعات التي تظهر في أكثر النظم البيئية جفافا، وتتميز الصحارى بتباين حراري كبير، سواء يوميا أو فصلياً، إذ ترتفع درجات الحرارة في أثناء النهار أو الصيف ارتفاعاً كبيراً، وتنخفض في أثناء الليل أو في الشتاء، وهذا يعود إلى أن التربة

---

1 غرايبة، المدخل إلى العلوم البيئية، ص 137 .

2 سورة إبراهيم، الآية 37 .

3 تفسير القرطبي، (242/9)، فتح القدير، (127/3)، تفسير أبي السعود، (493/3)، الظلال، (2109/4) .

الصحراوية تستقبل الإشعاع الشمسي أثناء النهار، وتفقد طاقتها الحرارية أثناء الليل لعدم تـوفّر غِطاء نباتي كثيف أو غيوم تمنع فقدان الحرارة"[1].

فالسبب في هذا التباين الحراري يعود لعدم توفر غطاء نباتي أو غيوم، والنبات والغيوم مرتبطة بالماء، فلقلّة الماء أو لانعدامه تقل النباتات المنتشرة فـي الصـحراء، فيكـون فقـدان الحرارة بشكل كبير في تلك المناطق.

" وتُعد مشكلة نقص المياه وتوزيعها وارتفاع درجة الحرارة في الصـحراء مـن أهـم العوامل المؤثرة في تشكيل وتحديد الحياة للكائنات الحية التي تعيش في الصـحراء، إذ تمتـاز النباتات الصحراوية بجذور كثيفة تخترق التربة لأعماق كبيرة، وبأوراق مطلية بطبقة شـمعية تمنع أو تحد من تبخر كميات كبيرة من المياه.

وكذلك تخزين المياه وقدرة التخلّص من بعض الأوراق خلال فترة الجفاف في الأنسجة النباتية والاستفادة من ماء الندى الليلي بكفاءة عالية.

كما أن بعض أنواع النباتات الصحراوية تُكمل دورة حياتها - من البذرة إلى البذرة - في فترة الرطوبة القصيرة، وتموت في فصل الجفاف وتترك وراءها البذور التـي تنمـو بعـد سقوط الأمطار من جديد"[2].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[3].

"والأرض الجرز:أي المنقطعة من النبات"[4].

---

1 غرايبة، المدخل إلى العلوم البيئية، ص 138 .

2 المصدر نفسه، ص 139 .

3 سورة السجدة، الآية 27 .

4 المفردات، ص 91، مختار الصحاح، ص 99 .

والآية تلفت انتباه الناس إلى إخراج النبات من هذه الأرض، فإن ا سـبحانه وتعـالى قدمكّن النبات من التأقلم، وأمدهم بجذور وبذور وأوراق تستطيع العيش في هذه الأرض الجرز (الصحراء).

"ونجد النباتات الصحراوية متفرقة وعلى شكل أعشاب ونباتـات شـوكية وشُـجيرات قصيرة وغيرها تُسمى النباتات الدفافيات. ومن النباتات ما هو دائم طوال العام مثـل الصـبار، الذي تكيف مع نقص الماء، إذ نجده مطلياً بمادة شمعية، ومزود بثغور أوراق قادرة على التحكّم في عملية النتح والاستفادة من الندى.

كما أن هناك نباتات تُخزن المياه خلال فترة التسـاقط فـي الأنسـجة، أو الأوراق، أو البصلات، أو الدرنات، أو تمد جذورها إلى أعماق التربة، كما أن هنـاك نباتـات عشـبية لا تستطيع أن تتكيف مع الجفاف، فتنموا مباشرة مع الأمطار، ونظرا لأن سقوط الأمطـار يكـون خلال فترات قصيرة ومحدودة، فإن هذه النباتات تعيش لفترة قصيرة من الزمن تُقدر بحـ ـوالي 6 ـ 7 أسابيع، وتترك خلفها بذوراً تبقى كامنة في التربة لحين سقوط المطر"[1].

---

1 غرايبة، المدخل إلى العلوم البيئية، ص 140 .

الفصل الخامس

الماء أحد أسباب التمكين

المبحث الأول: التمكين الحضاري للأمم.

المبحث الثاني: التمكين بالنصر (معركة بدر).

المبحث الثالث: نموذجان للتمكين بالماء.

النموذج الأول: قصة نبي الله نوح عليه السلام مع قومه.

النموذج الثاني: قصة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون.

الفصل الخامس

الماء أحد أسباب التمكين

- **المبحث الأول: التمكين الحضاري للأمم:**

إن مما لا شك فيه كما رأينا في الفصول السابقة أن وفرة الماء هي عنـوان الحضـارة والرقي لأي دولة، أو أي كيان بشري أوجد على الأرض، فها هي مكة مثلاً تكون ارض قاحلة لا يأتيها أحد، ولا يسكنها إنسان، ثم بعد أن فجر ا ماء زمزم إذا هي أرض لا بد أن يأتيها كل حاج ليحج البيت ويشرب من ماء زمزم.

ثم بوجود الماء هناك الحدائق العامة، وتنظيف المرافق والشـوارع، ونظافـة النـاس والملاعب الرياضية، والمشاريع الضخمة والبناء هنا وهناك، ومعلوم أن أي بناء لا بد له مـن ماء. إن ا أمتن على كثير من الأمم السابقة أن أعطاها وفرةً في الماء، فها هي مملكة سبأ تنشأ وتزدهر بفضل الماء. قال تعالى:

* لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ *[1].

وسنعرض بإيجاز قصة سبأ:

" سبأ اسم لقبيلة قوية سكنت اليمن وأنشأت فيها حضارة متقدمة، حيث أعطاهم ا مـن كل شيء كما توحي بذلك الآيات، واستطاعوا التحكّم في ماء الوديان، حيث أنشأوا سداً منيعـا عند مدينة مأرب بين جبلين، وتحكموا في مياه السد في ري أراضيهم وسقي بساتينهم، فتمكنـوا من إنشاء الجنان والبساتين.

---

[1] سورة سبأ، الآيتان 15 و 16 .

وكان من ملوكهم " بلقيس" التي حصلت لها قصة مع نبي الله سليمان عليه السلام انتهت بإسلامها ودخولها في دينه كما أشارت إلى ذلك سورة النمل، كل أهل سبأ بعد مـوت بلقـيس كفروا بالله وأشركوا به، وبطروا وبغوا، فأوقع الله بهم العذاب، حيث دمـر الله " سـد مـأرب" وأرسل عليهم ما كان وراءه من ماء فكان سيلا عظيماً مدمراً سماه القرآن " سيل العرم" والعرم المياه، وقيل الوادي، وقيل: الجرذ، وقيل: الماء الغزير"[1]. فأغرق الجنات والبساتين وأزال الله عنهم تلك النعم بسبب ما كسبوا"[2].

سبحان الله، نشأت الحضارة بالماء، وقُضي عليها بالماء.

ثم تُحدثنا الآيات عن صاحبي الجنتين، وكيف كان بستانه جميلاً متقناً، والسـبب هـو فضل الله عليه بتفجير النهر من خلال الجنتين.

يقول الله تعالى: ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾[3].

ولما دعا عليه الرجل الصالح قال في دعائه: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾[4].

أي أن يصبح الماء غائراً بعيداً عميقاً في الأرض وتجفّ مزروعاتك وتهلك.

نعم إن الماء أساس كل حضارة، فإذا وجد الماء وأقبلت أمواجه أقبل معه البشر والعطاء والنماء والرغد والهناء والحضارة، وبه تقوم الحقول وتتكاثر الحبوب ويزدهر وجه الأرض.

---

1 تفسير ابن كثير، (533/3).

2 الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلـم، دمشـق، 1996، ص 185 ـ 186، بتصرف.

3 سورة الكهف، الآية 33 .

4 سورة الكهف، الآية 41 .

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[1].

"* ألم يروا * في رحلاتهم إلى الشام واليمن وغيرها"[2].

والقرن: في الحديث عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[3]. أي الناس المقترنين في زمن واحد، جمعه قرون"[4].

"وقيل القرن ثمانون سنة، وقيل ثلاثون سنة، والقرن في الناس أهل زمان واحد"[5].

وهذا تخويف وموعظة من الله للناس، عسى أن يكفوا عن الإدبار والجمود، فتلين قلوبهم للحق، أو يلينوا لسماع القرآن الكريم، فقد وعظهم الله وذكّرهم بما حلّ بالأمم السالفة كقوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وقوم شُعيب وفرعون، وغيرهم من الأمم السالفة الذين أعرضوا عن ملة التوحيد، واستكبروا في الأرض بغير الحق، فأصابهم من الوبال والخسران ما أصابهم وكانوا عبرة خالدة لمن يعتبر"[6].

---

1 سورة الأنعام، الآية 6 .

2 التفسير المنير، (137/7) .

3 البخاري في فتح الباري شرح صحيح البخاري، (348/7)، حديث رقم (3650) كتاب 62 فضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب 1 . وأخرجه مسلم بلفظ (إن خيركم قرني)، و(خير الناس قرني)، فضل الصحابة رضوان الله عليهم.

4 المفردات، ص 401 .

5 مختار الصحاح، ص 532 .

6 أمير عبد العزيز، التفسير الشامل، دار السلام، ط1، 2000، ص 107، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: التفسير الشامل.

" *ومكناهم في الأرض ما لم نُمكّن لكم* أي أنهم كانوا أشد منكم قـوة وتمكينـا فـي الأرض، فلم يكن يوجد حولهم من يضارعهم في قوتهم، ويقدر على سلب استقلالهم، وأعطيناهم من أسباب التمكين في الأرض، وضروب النصر وأنواع النِعم ما لم نعطكم"[1].

قال تعالى: * وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ *[2].

إرسال السماء بمعنى إنزال المطر، والمدرار على وزن مِفعال للمبالغة ومعناه الغزير، وتسخير الأنهار وهي مجاري المياه الفائضة، وهديناهم إلى الاستمتاع بها بجعلها تجري دائمـاً من تحت مساكنهم التي يبنونها على ضفافها، أو في الجنات والحدائق التي تتفجر منها، وأسباب القوة والسلطان. وعبر عن الماء (المطر) بالسماء لأنه ينزل من السماء." فأهلكهم بذنوبهم: إلغاء للتعقيب، أي فكفروا فأهلكناهم، وألباء للسببية، أي أهلكنا كل قرون من تلـك القـرون بسـبب عتوهم واستكبارهم، وما اقترفوه من الذنوب والخطايا في حق النبيين والمرسـلين، إذ آذوهـم وكذبوهم، فالذنوب سبب لزوال النعم، وأنشأ وخلق وأوجد قرناً آخرين، أي أقواماً غيرهم[3].

قال تعالى: * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ *[4].

" بزيادة الماء عليهم يزدهم ا قوة إلى قوتهم. قال مجاهد: شـدة إلـى شـدتكم. قـال الضحاك: خصباً إلى خصبكم. قال علي بن عيسى: عِزاً على عزكم. قال عكرمة: ولـداً إلـى ولدكم"[5].

1 تفسير المنار، (307/7 ـ 309) بتصرف.

2 سورة الأنعام، الآية 6 .

3 التفسير الشامل، ص 107 .

4 سورة هود، الآية 52 .

5 تفسير القرطبي، (35/9) .

" وأما زيادة القوة فالأمر فيها قريب ميسور، بل واقع مشاهد، فإن نظافة القلب والعمـل الصالح في الأرض يزيدان التائبين العاملين قوة، يزيدهم صحة في الجسم بالاعتدال والاطمئنان وراحة الأعصاب"[1].

ومن عناصر تمكين فرعون، تمكينه بالماء: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾[2].

وقلنا عن مكة أنها كانت قاحلة لا يأتيها أحد، ولما أمر ا نبيه إبراهيم بوضع زوجـه هاجر وابنه إسماعيل في تلك البقعة اختارها سكنا لهم في الوادي القفر، حيث لا ماء ولا زراعة ولا حتى سكان، ونادى ربه بدعاءٍ صادق برجاء أن يجعل ذلك المكان مهـوى أفئـدة النـاس يجتمعون حوله، فقال:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[3].

فسبحان ا لم يقل بوادٍ لا ماء فيه، وكأنه يرجو في دعائه أن يكون فيه ماء بقدرة ا ، وانظر إلى كلمة (وارزقهم من الثمرات)، ولم يقل وارزقهم من الطعام أو الطيبات، بل قال (من الثمرات)، ثمرات الأرض وثمرات هذا الدعاء الصادق من قلب نبي ا إبراهيم، وهذا ما حدث فعلا من ذلك اليوم إلى يومنا هذا يرزق هذا البلد من الثمرات من جميع أنحاء العالم يأتيه كـل المنتجات بأشكالها وأوصافها وألوانها المختلفة.

قلت: وتمكّن أهل العراق وأصبح عندهم حدائق بابل المعلقة بالماء، ونشأت حضـارات في بلاد الشام لوفرة المياه، وفي العصر الحديث تمكن النفر الصادق من الجيش المصري مـن

1 في ظلال القرآن، ج4، ص 1897 .

2 سورة الزخرف، الآية 51 .

3 سورة إبراهيم، الآية 37 .

تحطيم أسطورة خط بارليف في العاشر من رمضان سنة1396 هـ في السادس مـن أكتـوبر 1973، وقد كان مانعاً مائيا لا نظير له في العالم.

نعم إنه الماء سبب التمكين في الدنيا والآخرة، وأن ا سبحانه وتعالى سـيمكّن عبـاده المؤمنين من دخول الجنة والتمتّع بنعيمها لإيمانهم با . وهناك الكثير من آيـات الجنـة تـأتي بوصف الماء والأنهار.

قال تعالى: * وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *[1].

* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ *[2].

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا[3].

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ[4].

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*[5].

كثيرة هي الآيات التي تتحدث عن الجنة وتمكين ا للمؤمنين، وفي جزء مـن آيـات الجنة * تَجري مِن تَحتِها الأَنْهار * تأكيداً من ا على أهمية الماء للإنسان، ثم لعلم ا الواسع القديم أن الماء أساس كل شيء. وفي المقابل العقاب في النار يشمل الحرمان من المـاء ومـن الأشجار والأنهار والثمار والظل.

---

1 سورة البقرة، الآية 25 .

2 سورة آل عمران، الآية 136 .

3 سورة النساء، الآية 122 .

4 سورة المائدة، الآية 85 .

5 سورة الدخان، الآيتان 51 و 52 .

* فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *[1].

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ*[2].

انظر إلى عبارة:*ومقام كريم* وإشارتها إلى الرقي الحضاري الحاصل بسبب الماء، إنها سنّة ا في التبديل. يقول صاحب الظلال في تفسير آية (6) من الأنعام: " ألم يروا إلى مصارع الأجيال الغابرة وقد مكنهم ا في الأرض وأعطاهم من أسباب القوة والسلطان ما لم يعط مثله للمخاطبين من قريش وغيرها، وأرسل المطر عليهم متتابعاً ينشئ في حياتهم الخصب والنماء ويفيض عليهم من الأرزاق ثم ماذا؟ ثم عصوا ربهم فأخذهم ا بذنوبهم، وأنشأ من بعدهم قرناً آخرين ورث الأرض من بعدهم، ومضوا هم لا تحفل بهم الأرض، فقد ورثها قومٌ آخرون، فما أهون المكذّبين المعرضين أصحاب القوة والتمكين من البشر، ما أهونهم على ا ، وما أهونهم على هذه الأرض أيضا، لقد أهلكوا وغبروا، فما أحست هذه الأرض بالخلاء والخواء، إنما عمرها جيل آخر، ومضت الأرض في دورتها كأن لم يكن هنا سكان، ومضت الحياة في حركتها كأن لم يكن هنا أحياء"[3].

---

1 سورة الشعراء، الآية 57 .

2 سورة الدخان، الآيتان 25 و 26 .

3 في ظلال القرآن، (1037/2) .

ـ المبحث الثاني: التمكين بالنصر:

(معركة بدر)

إن النصر من عند ا ، وإنما يرجع إلى أسباب حسية ومعنوية، إن تحققت جاء النصـر من ا ، وا الموفق لسلوك النصر أو أسباب الهزيمة، وأن جنوداً، جنوداً في السماء وجنوداً وفي الأرض، وجنوداً بينهما. فالشمس والقمر، والرياح والضباب، والثلج والمطـر، والرعـد والبرق، وكل ما حولنا وما فوقنا وما تحت أرجلنا جنود ، يسلّطها على أعداء الدين، وينصـر بها عباده المؤمنين، لأن ا تعالى يقول:

*﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾[1]. ويقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[3].

" والغشي: أي الغشيان أي التغطية. والنعاس: النوم غير الثقيل، وهو مثل السِنة. وأمنة: أي أمن وأمان"[4].

" هذه الآية تتحدث عن وقعة بدر الكبرى، وقد نزل المسلمون على كثيب أعفر تسـوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وكان المسلمون أقل في العدد والعتاد من الكفار، فكانوا ثلاث مئـة أو يزيدون، أما الكفار فكانوا ألفاً أو يزيدون فيهم مائتا فارس، فتسرب إلـى قلـوب المـؤمنين الخوف الطبيعي على أنفسهم وعلى هذا الدين، وقبل كل شيء خوفهم الشديد على الرسول صلى ا عليه وسلم. ومن الطبيعي أن يكون هذا الخوف، فأرضهم رملية تسوخ فيها الأقدام، وعددهم

---

1 سورة محمد، الآية 7 .

2 سورة الروم، الآية 47 .

3 سورة الأنفال، الآية 11 .

4 المفردات، ص 361، ص 499، ص 25، حسب ترتيب الكلمات: غشى، نُعاس، أمنة.

قليل، وقد سيطر المشركون على الماء، وفي الصحابة من أصابته الجنابة وأمور أخرى حـدثت للصحابة رضوان ا عليهم، بالإضافة إلى تمثّل الشيطان لهم ومحاولة إضعافهم نفسياً، وتهويل الأمر عليهم[1].

في ظل هذه الظروف الصعبة الحالكة، والوسط المخيف والمضعف للنفس، يرسـل ا عليهم النعاس وهو جندي من جنود ا . وفي امتنان ا عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما: قواهم بالاستراحة على القتال في غد.

الثاني: أن أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم، كما يقال: الأمن منيم والخوف مسهد"[2].

ثم تأتي المنّة الثانية من ا بأمر المطر وهو جندي آخر سبحانه وتعالى، فينزل عند المؤمنين فيلبد لهم الأرض، ويجعل الجانب الخاص بالمشركين أرض وحل ليصبح السير فيهـا متبعاً وشبه مستحيل، فأمكن للمسلمين السبق إلى الماء، فنزلوا عليه (على آبار بدر)، وادخـروا ماءً كثيراً، وتطهروا من الجنابة، وتوضؤوا وشربوا، فذلك قوله تعالى:* لِيطَهركُم بِهِ ويـذْهِب عنْكُم رِجز الشيطَانِ *.

وذكر ا منّة أخرى جاءت في وقت الحاجة، وهي أنه أنزل عليهم المطر يـوم بـدر، فإسناد هذا الإنزال إلى ا تعالى للتنبيه أنه أكرمهم به، وذلك لكونه نزل في وقت احتياجهم إلى الماء، ولعله كان في غير الوقت المعتاد فيه نزول الأمطار في أفقهم"[3].

---

1 كشك، في رحاب التفسير، (1460/6) بتصرف، وانظر: أسباب النصر في سورة الأنفال، (25/13).

2 الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبب، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، مؤسسـة الكتـب العلمية، (299/2).

3 التحرير والتنوير، (279/5) بتصرف. وانظر: التفسير الشامل، (1382/3) بتصرف.

" فالتطهير هو تطهير الظاهر، وتطهير الباطن من وسوسة أو خاطر سـيء، وليـربط على قلوبكم: الصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن. ويثبت به الأقدام: وهو شجاعة الظاهر"[1] فتمكنوا من السير على الرمال.

" والمدد على هذا النحو مدد مزدوج: مادي وروحي، فالماء في الصحراء مادة الحيـاة، فضلا على أن يكون أداة النصر، والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصـابه قبـل أن يواجه المعركة. ثم هذه الحالة النفسية التي أصابت الموقف ووسـوس بهـا الشـيطان!! حالـة التحرج من أداء الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء - ولم يكن قد رخص لهم بالتيمم -، وهنا تثور الهواجس والوساوس ويدخل الشيطان من باب الإيمان يزيد حرج النفـوس، ووجـل القلوب التي تدخل المعركة في مثل هذا الحرج وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزعة مهزومة من داخلها، وهنا يجيء المدد وتجيء النجدة، ويتم المدد الروحي بالمدد المادي، وتسـكن القلـوب بوجود الماء وتطمئن الأرواح بالطهارة، وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال"[2].

وهذا ما ذهب إليه منير محمد الغضبان عندما أشار إلى: " أن هذا الماء مـن السـماء جندي من جنود الله وجعل له وظائف أربعة ألا وهي: الشرب، والتطهيـر، وصـرف رجـز الشيطان عنهم، والربط على القلوب من الخوف وتثبيت الأقدام على الرمال"[3].

"* وليربِطَ علَى قُلُوبِكُم*: أي الشجاعة من الباطن، و* ويثَبتَ بِهِ الأَقْدام *: أي شجاعة الظاهر"[4].

---

1 تفسير ابن كثير، (293/2).

2 في ظلال القرآن، (818/3 - 819) بتصرف.

3 الغضبان، منير محمد، المنهج التربوي للسيرة النبوية - التربية الجهادية، (75/1)، الأردن، مكتبة المنار، ط1، 1991، بتصرف.

4 أسباب النصر في سورة الأنفال، (25/13) .

إن الخوف يؤثر على القلب، ويؤثر على الأقدام، وهذا ملاحظ عند جميع الناس، وفي الآية يربط على قلوبكم يا أيها المؤمنين بالاطمئنان بالنعاس ونزول المطر أن عندكم الآن ماء. ويثبت به الأقدام بتلبيد الأرض من تحت أرجلهم.

"ويقول الأطباء إنه عند الخوف تفرز في الدماغ مادة معينة ترتعش منها الأطراف فلا تثبت، ومن وسائل تثبيت الأطراف بتقليل هذه المادة أن يرشّ من هذه حالته بالماء، فقد كان نزول المطر من الأسباب المادية التي جعلها الله وسيلة لتثبيت الأقدام، بتقليل هذه المادة في الدماء إلى جانب تثبيت الأرض التي يسير عليها المجاهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الرمال إذا بلت تماسكت وسار عليها السائر بعزم وثبات"[1].

وهذا أيضا مشاهد عند الناس، حتى أن العوام تقول إذا خاف الواحد منهم: (أصبح قلبي في ركبي) أو يقول: (نشف دمي). فالأمر يتعلّق بالدم والأطراف وأن هناك رعشة في الأطراف، وسبحان الله قليل من الماء على شكل قطرات تربط على القلب وتُثبت الأقدام، والتي هي أهم الأطراف التي تجعل المجاهد واقفاً، أي شجاعة باطنة في القلب وشجاعة ظاهرة بالوقوف بقوة وثبات على الأقدام.

والآية تقول: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[2].

فقل سبحان الذي جعل من الماء كل شيء حي، حتى قلوب المجاهدين تنبض بالدعاء والشكر لله، وأقدامهم تسير في سبيل الله تدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

1 الزنداني، الشيخ عبد المجيد، العلم طريق الأيمان، ص 128ـ 131، بتصرف.

2 سورة الأنفال، الآية 11 .

- **المبحث الثالث: نموذجان للتمكين**

النموذج الأول: قصة نبي الله نوح عليه السلام[1]

"في عصر نبي الله نوح عليه السلام كانت قد انحرفت البشرية، وابتعدت عن طريق الحق، وأصبح الشرك بالله هو المعروف بينهم، والتوحيد شيئاً منكراً مرفوضاً لا يقبلونه، ولا يحبون أن يسمعوا عنه، وأصبح الشيطان يقودهم، فأرسل الله لهم نبي الله نوح عليه السلام، ينصح لهم ويرشدهم ويطهرهم، إلا أنهم أبوا إلا أن يكونوا كفاراً، وبقي نوح عليه السلام يدعوهم سراً وعلانية، ليلاً ونهاراً، فرادى وجماعات، فلم يسمعوا له ولم يؤمنوا، ثم اتهموه بالسفاهة والجنون والنقص، وهددوه بالرجم، ولم يرد عليهم إلا بما تُمليه أخلاق النبوة، ونوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يركب معه في السفينة إلا فئة قليلة بعد هذه المدة الطويلة، ومعروف أن أنصار الحق دائما قليلون.

ثم ماذا ؟!! ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2].

فلما علم نبي الله نوح هذا الكلام عن قومه دعا عليهم الدعاء القاصم:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[3].

دعا عليهم بعد أن علم أنه لا فائدة منهم، فماذا كان؟

- **أوامر النجاة:**

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير، (428/4)، في ظلال القرآن، (1871/4 ـ 1894) بتصرف، تفسير الرازي، (234/17)، تفسير البحر المديد، (207/3 ـ 220)، بتصرف. وانظر أيضا: تفسير القرطبي، (16/9، 34)، وتفسير معالم التنزيل، (12/3. ـ 128)، والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، (149/1 ـ 214)، دار القلم، بيروت، ط1، 1998 .

[2] سورة هود، الآية 36 .

[3] سورة نوح، الآيتان 26 و 27 .

أوحى ا تعالى إلى نوح عليه السلام بما يلي:

واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ[1].

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ[2].

فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ[3].

فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ[4].

فقد أمر ا وحكم وقضى عليهم بالإغراق بماء الطوفان. " وبمجـرد أن أمـره ا أن اصنع الفلك تأتي الآية التي تليها تعرض لنا نوحاً وهو ينفّذ الأمـر دون جـدال أو تـأخير أو مراجعة ، بل كل الطاعة وكل التوكّل على ا ،* ويصنَع الْفُلْك وكُلما مر علَيهِ ملأٌ مِن قَومِـهِ سخِروا مِنْه قَالَ إِن تَسخَروا مِنا فَإِنا نَسخَر مِنْكُم كما تَسخَرون*[5].

وكانت العلامة فوران التنّور، والتنّور هو الذي يخبز فيه[6]، والأصـل أن فيـه نـاراً موقدة، ولكن حكمة ا أن يفور منه الماء.

التنور الذي يخرج منه النار، تكون الإشارة فيه ومن خلاله، أن يخرج الماء بدلا مـن النار، وفي العادة أن الماء يطفئ النار ليرشد ا الناس ويقول لهم كل شيء بـإرادة ا ، وهـو القادر على أن ينزع خاصية الإرواء من هذا الماء كما نزع منه خاصية الإطفاء، وخرج مـن خلال النار وهذا مشاهد في القرآن في نزع خاصية القطع في السكين، وخاصية الإحراق فـي النار في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

---

1 سورة هود، الآية 37 .

2 سورة هود، الآية 40 .

3 سورة المؤمنون، الآية 27 .

4 سورة المؤمنون، الآية 27 .

5 سورة هود، الآية 38 .

6 لسان العرب، (56/2).

فأراد الله أن تكون هناك إشارة يعلمها نوح ومن معه ولا يفهم معناها الكافرون، بل زادت سخريتهم عندما شاهدوا نوحاً ومن معه يسرعون نحو السفينة، ولم يعلموا أنها اللحظات الأخيرة لهم. لقد جاء نصر الله بالماء، فهو جند من جنود الله.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[1].

"ففتحنا: مشددة: وجه التشديد أن التفتح من السماء، كان كالتفجير من الأرض شيئا بعد شيء، ودام وكثر.

وفتحنا: مخففة: أن الفتح إنما كان في وقت واحد"[2].

قال ابن عباس: "ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر من غير سحاب لم يقلع أربعين يوما"[3].

" والهمر: الصب، وقد همر الماء، والدمع يهمر همرا"[4].

" فالتقى الماء: أي ماء السماء وماء الأرض"[5].

وهكذا ماءٌ صب من السماء صباً متوالياً كأنه مدخر وراء باب مسدود، ثم فتح هذا الباب، أما الأرض فجعلها عيونا متفجرة عن الماء.

يقول صاحب الظلال: "وهي حركة كونية ضخمة غامرة تُصورها ألفاظ وعبارات مختارة، تبدأ بإسناد الفعل إلى الله مباشرة *ففتحنا* فيحس القارئ يد الجبار تفتح *أبواب السماء* بهذا اللفظ وبهذا الجمع. *بماء منهمر* غزير متوالٍ. وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها

---

1 سورة القمر، الآيتان 11 و 12 .

2 الحجة في القرءات السبع، ص 221 .

3 تفسير القرطبي، (76/17).

4 لسان العرب، (130/15).

5 تفسير القرطبي، (76/17).

وفجرنا الأرض عيونا وهو تعبير يرسم مشهد التفجير وكأنه منبثق من الأرض كلها، وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيوناً.

والتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض *على أمرٍ قد قدر* التقيا على أمر مقدر، فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدر، حتى إذا صار طوفاناً يطم ويعم ويغمر وجه الأرض ويطوي الدنس الذي يغشى وقد يئس الرسول من تطهيره"[1].

لقد دعا نبي الله نوح: *فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ*[2].

" يا رب انتصر لدعوتك، انتصر لحقك، انتصر لمنهجك، انتصر أنت في الأمر أمرك والدعوة دعوتك، وقد انتهى دوري وغُلبت على أمري فانتصر"[3].

لقد استجاب الله لدعوة نبيه، وفتح أبواب السماء، وفجر عيون الأرض، لقد أمر الله الماء... نعم الماء، كان عذاباً على الكافرين ورحمة وانتصاراً وتمكيناً وراحةً وتكريماً للمؤمنين.

امتدت لهم يد الرحمة والنجاة والتكريم من الله سبحانه وتعالى: *وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ*[4].

"الدسر: المسامير التي تُشد بها الألواح"[5].

حمله الله على سفينة ذات ألواح خشبية ومسامير، تجري بأمر الله، وعلى بركة الله، وفي رعاية الله، بملاحظة وحفظ من الله. وعلى هذا المشهد الرائع، مشهد الانتصار الهائل الكبير، يتوجه إلى القلوب التي شهدت المشهد كأنها تراه.

---

1 في ظلال القرآن، (3420/6) .

2 سورة القمر، الآية 10 .

3 القصص القرآني، ص 190 .

4 سورة القمر، الآيتان 13 و 14 .

5 المفردات، ص 169 .

يقول ا : ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[1].

آية للأجيال، كيف أن ا يعز من يشاء، ويذل من يشاء، كيف يشاء ومتى يشـاء، و الأمر من قبل ومن بعد.

بالماء فقط أراد ا أن يطهر البشرية، يطهرها حسيا ومعنويـاً مـن الكفـر والرذيلـة والانحراف، ولم يكن لهم من دون ا عاصم، لم تـنفعهم الجبـال المرتفعـات، ولا الأشـجار الباسقات، لأن الذي قضى الأمر هو صاحب الأمر سبحانه وتعالى.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[2].

كما أنهم كانوا غارقين بالعصيان والكفر والجحود، أراد ا أن يغرقهم بالماء، وانظـر لعبارة: * فِي موجٍ كالْجِبال *، وصورة الموج العظيم الذي تكون بأمر ا للأرض وللسماء.

قلت: إننا نواجه اليوم أشخاصاً ممن حولنا ينبغي أن يكونوا أعز النـاس علـى قلوبنـا وأقرب الناس، ولكن يحول بيننا وبينهم موج كبير كالجبال، موج من الأفكار الجاهلية والثقافـة الغربية، وموج من التخاف والسفاهة، وموج من اللامبالاة نحو هذا الدين، وموج مـن الأنانيـة وموج الكبرياء، وأمواج... وأمواج بأشكال متعددة، لقد كان الموج بين نوح عليه السلام وابنه، موج من الماء الطاهر، ولكن ما يحول بيننا وبين بعض ممن حولنا موج عظيم من نوع آخـر، وكما أغرق ا ابن نوح وباقي الكفرة بالماء الطاهر سيغرق ا كل من نصـب العـداء لهـذه الدعوة المباركة بالأمواج التي كونها ليحارب الدين فيها.

---

1 سورة القمر، الآية 15 .

2 سورة هود، الآيتان 42 و 43 .

ولكن السفينة كانت سائرة على وجه الماء، نعم، هذا الماء الذي لم يبق شيئاً إلا غمـره هذه السفينة التي هي من ألواح ومسامير تطفو على الماء بأمر ا وقدرته. ثم عندما أغرق ا القوم الكافرين قال تعالى:

* وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ*[1].

"ا الذي أمر الماء بالنزول من السماء والخروج من الأرض أول مـرة عنـدما بـدأ العذاب، يأمر الآن الأرض أن تبتلع ماءها، والسماء أن تتوقف عن إنزال المـاء[2]. ثـم قـال *وغيض الماء* أي تناقص شيئاً فشيئاً"[3].

" وقضي الأمر: أي فرغ من أهل الأرض قاطبة لم يبق منهم أحداً"[4].

حتى تتمكن السفينة من الاستواء بسلام دون أن تنكسر، وقيل بعداً للقوم الظـالمين: أي هلاكاً لهم وبعداً من رحمة ا ، فإنهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية[5].

وإليك آيات قصة نوح كيف أن ا نصر عبده الصالح نوحاً ومن آمـن معـه بالمـاء، وكانت نهاية القوم الظالمين المنحرفين.

---

1 سورة هود، الآية 44 .

2 تفسير ابن كثير، (447/2).

3 مختار الصحاح، ص 486 .

4 تفسير ابن كثير، (447/2)

5 المصدر نفسه، (447/2).

* فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *[1].

* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ *[2].

* وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ *[3].

* إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ *[4].

* وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ *[5].

وهكذا فإن كل الآيات تتحدث بكلمات *تذكرة* و *آية لهم* و *هل مـن مـدكر* و *آية للعالمين*، و *تعيها أذن واعية*. نعم للتمكين من ا ، والنصر من ا ، وأن ا لا ينصر إلا عباده المؤمنين.

* وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ *[6]. ونوح نبي ا والذين آمنوا معه يستحقون النصـر، وا يقول عن نبيه نوح: * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ *[7].

---

1 سورة الشعراء، الآيات 119 ـ 122 .

2 سورة العنكبوت، الآيتان 14 و 15 .

3 سورة القمر، الآيات 13 ـ 16 .

4 سورة الحاقة، الآيتان 11 و 12 .

5 سورة يس، الآيات 41 ـ 44 .

6 سورة الروم، الآية 47 .

7 سورة الشعراء، الآية 106 .

وإن أناساً يظنون أن ينصرهم ا بمجرد التزام بسيط في الدين دون اختبار وتمحـيص لهم فإنهم واهمون، فها هو نبي ا نوح يدعو قومه ألف سنة ألا خمسين عامـاً، ويلاقـي كـل أشكال الصد والهجوم والتكذيب، وما جاء النصر إلا بعد الصدق، صـدق الـداخل والخـارج، والعمل للدين سنوات طويلة من غير إجازة أو كلال أو أعذار إلى ا .

ولو قال قائل: كيف نُعد هذا نصراً ولم يقم لنوح كيان أو دولة، نقول: إن النصر الـذي حققه نوح عليه السلام هو بذر الفكرة، فكرة التوحيد وجعلها باقية في الأرض لمن بعده، ثـم إن الفوز العظيم الذي حققه نوح عليه السلام هو اندثار أعداء الدين، أعداء ا ، أعداء الإنسانية، ثم إن المؤمنين لهم النصر يوم القيامة والفوز بالجنة، فهل أكثر من هذا نصر.

وهكذا كان التمكين لنوح عليه السلام والذين آمنوا معه، ولتبقى آية وموعظة لمن كـان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ـ المبحث الثالث: النموذج الثاني

قصة نبي الله موسى عليه السلام[1]

نبي الله موسى عليه السلام، يكاد القرآن الكريم يكون له من كثـرة مـا ورد اسـمه، وذكرت قصته في آيات القرآن الكريم، ولكن ما نتناوله في هذه الدراسة تمكين الله لسيدنا موسى ومن معه من الذين آمنوا من بني إسرائيل، وكيف نصرهم الله على فرعون وجنوده.

فكيف حدث هذا ؟ وما الدرس المستفاد؟.

يقول الله تعالى: *وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ*[2].

إذاً من البداية يشعرنا الله أنه يريد أن يمكّن موسى عليه السلام ومن معـه، ويجعلهـم الوارثين، وارثين ماذا؟ أجل يرثون فرعونا ويرثون الأرض.

ويقول تعالى: *فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ*[3].

سبحان الله، قد مكّن فرعون بالماء *جناتٍ وعيونٍ*، ولما طغى وكفر وقال*أَنَا ربكُـم الأعلى* قال له تعالى:* فَأَخْرَجنَاهم *.

---

1 هذه المادة بتصرف من كتب التفسير. انظر: فتح القدير، (4/118ـ119)، وفي ظلال القـرآن، (5/2598 ـ 2599)، مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، ط17، (89)، ص 238، وتفسير ابن كثير، (3/327ـ 328)، وانظر أيضا: النبـوة والأنبيـاء، محمـد علـي الصـابوني، دار الصابوني، (د. ت ن) و (د.ت .ط)، ص 182 ـ 183، والقصص القرآني، (3/80ـ 107)، بتصرف.

2 سورة القصص، الآيتان 5 و 6 .

3 سورة الشعراء، الآية 57 ـ 59 .

لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر، وأقام حججه وبراهينه على فرعون وملته وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال، فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً من مصر، وأن يمضي بهم حيث يؤمر، ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل.

" فأجرناهم من جنات: أي خرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار الأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر من الدنيا"[1].

ويقول سبحانه وتعالى:* فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ *[2].

فاتبعوهم مشرقين: أي وصلوا إليهم عند شروق الشمس أي طلوعها"[3].

لما تراءا الجمعان، كل فريق منهم يرى الآخر، حيث رأى قوم موسى جند فرعون ففزعوا وخافوا، ورأى جند فرعون قوم موسى محصورين بينهم وبين البحر، فرحوا واستبشروا لأنهم أيقنوا القبض عليهم والخلاص منهم.

مدركون: أي أن جنود فرعون قد أدركونا وظفروا بنا، ولا طاقة لنا بهم.

لكن الإيمان القوي والتوكل الحق على الله القوي عند نبي الله موسى قال: * قالَ كلا إِن معِي ربي سيهدِين* قال موسى هذه المقولة زجراً وردعاً. والمعنى: أنهم لا يدركون، وذكّرهم وعد الله بالهداية والظفر، والمعنى: إن معي ربي بالنصر والهداية سيهدين، أي يدلني على

1 تفسيرابن كثير، (3/ 336 ـ 337).

2 سورة الشعراء، الآيات 60 ـ 62 .

3 تفسير ابن كثير، (336/3ـ 337).

طريق النجاة، فلما عظم البلاء على بني إسرائيل ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم بها، أمر ا عز وجل موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه"[1].

فالموقف شديد، موسى يتوكّل على ا ، قومه يصرخون ويشككون ودب الرعب الفطري فيهم، وجند فرعون أمامهم والبحر خلفهم، وإذا بأوامر النجاة من ا تأتي بأسرع ما يأتي العون والمدد:

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[2].

هكذا!! اضرب، فانفلاق فكان كل فرق كالطود العظيم، ا قادر ان يفلـق البحـر دون الضرب من موسى، ولكن هي سنّة ا في ربط الأسباب بالمسببات، حتى تكون لنا مـن بعـد موسى عليه السلام. انفلق البحر فلقتين، فلقة عن اليمين والثانية عن الشمال.

" الطود: مشتق من طاد أي استقر وثبت. والطود: الجبل العظيم الذاهب صـعوداً فـي الجو"[3].

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾[4].

" اليبس: المكان يكون فيه ماء فيذهب"[5].

---

1 فتح القدير، (118/4).

2 سورة الشعراء، الآية 63 .

3 المفردات، ص 309 .

4 سورة طه، الآية 77 .

5 المفردات، ص 550 .

"والدرك: هو القعر، أي قعر البحر، فا يقول لموسى لا تخف من قعـر البحـر، ولا تخاف تبعاً: أي لن يدركوك"[1].

فسار موسى عليه السلام في هذه الطريق التي وهبها له ا بضربه للبحر، وجعل الماء على جانبي الطريق كالجبل العظيم، وسار قومه معه حتى وصلوا إلى قريب من الجهة المقابلة، فماذا حدث؟.

* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ *[2].

وأزلفنا:أي قربنا وأدنينا فرعون وجنوده[3]، ولاحظ الإشعار بمصـيرهم عنـدما قـال *الآخَرين* وكأنهم لا شيء، لأن ا سيقضي عليهم.

* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ *[4].

أنجى ا موسى ومن معه، أنجاهم بقتل وإغراق أعدائهم، أنجاهم من القتل والتعـذيب، كما أنجاهم من الغرق في البحر، بل أغرق أعداءهم، ثم ماذا؟

* وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ *[5].

"أترك البحر ساكناً يابساً"[6]. لا تأمره مرة ثانية أن يعود، اتركه حتى يعبر آخرهم، فا لا يريد أن يترك منهم أحد."وذلك أن موسى عليه السلام لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر أراد

---

1 المصدر نفسه، ص 167 .
2 سورة الشعراء، الآية 64 .
3 فتح القدير، (119/4).
4 سورة الشعراء، الآية 65 .
5 سورة الدخان، الآية 24 .
6 المفردات، ص 205 .

موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما يصير حائلا بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم، فأمره ا أن يتركه ا على حاله ساكنا، وبشره بأنهم جند مغرقون فيه"[1].

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[2].

تخيل، غشيهم اليم، أي البحر، إنه منظر رهيب، كل المياه والأمواج العالية تغشى فرعون وجنوده، وتلفّهم داخلها.

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾[3].

"أسفونا: أغضبونا"[4]. فأغرقناهم أجمعين، لم يبق منهم أحد.

فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين: عِبرة لمن بعدهم، فلم يبق منهم أحد، غرقوا جميعاً، ولكن ا سبحانه وتعالى نجا بدن فرعون بعد موته غرقاً ليبقى عبرة للناس.

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾[5].

كثيرٌ من الناس لا يعتبرون، ففرعون ظاهرة تتكرر عند كثيرٍ من الأقوام، واليوم فرعون هذا الزمان قال مثلما قال فرعون مصر، ويتصرف مثل تصرفه، حتى الكلمات نفس الكلمات، فها هو يقول للعالم: (لا أريكم إلا ما أرى).

---

1 تفسير ابن كثير، (142/4).

2 سورة طه، الآية 78 .

3 سورة الزخرف، الآيتان 55 و 56 .

4 المفردات، ص 17 .

5 سورة يونس، الآيات 90 ـ 92 .

قبل لحظات كان في ذروة فرعنته واستعلائه وتألهه، والآن ها هو ميت غريق، وها هم الناس ينظرون إليه، ولكن تبقى كلمات تنادي: * وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ *.

فيا أيها الناس، إن الأرض ، فلا تخافوا الدرك، إن الأرض يورثها من يشاء من عباده فلا تخافوا أحداً، وقولوا كما قال النبي الصالح موسى عليه السلام: * كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ *

نعم سيهدينا إلى طريق النجاة، وسيهدينا الطريق الحق، وليس الطريق التي يرسمها لنا الأعداء.

الخاتمة

وتشتمل على أهم نتائج البحث وهي:

[1] إن الماء أساس الحياة، ولا يكاد شيء مخلوق يخلو من الماء في تكوينه.

[2] إن منشأ المياه في الأرض وإليها يعود بتوازن مقدر مضبوط.

[3] إن الرياح تُثير وتجمع السحب، ثم ينزل المطر بعد تلقيح الرياح للغيوم.

[4] إن الماء يكون رحمة ونعمة لمن يشاء ا ، ونقمة وعذاب لآخرين.

[5] وجود عدة أسماء وأشكال وصِفات للماء قد أشار إليها القرآن الكريم.

[6] إن وجود الماء بالشكل المعروف لنا فقط برحمة ا ، ولو شاء لجعله أجاجاً.

[7] إن هنالك أمور تجلب المطر، وأخرى تمنعه فلا ينزل، فالاستغفار والتقوى، والزكاة تجلبه، والكفر بالنعمة ونسيان الخالق تمنعه.

[8] إن عرش الرحمن كان على الماء، وهذا أمر غيبي لا نملك أي حديث يشرح أو يفسر لنا كيف كان هذا، فنؤمن به كما جاء في التنزيل.

[9] عدم قدرة الناس على تخزين جميع مياه الأمطار بكل ما لديهم من إمكانيات.

[10] أن البحار منها العذب الفرات، ومنها الملح الأجاج، وقد سبق القرآن كل العلوم بالكشف عن هذه الحقيقة، ووجود البرزخ المائي الحاجز بين البحر العذب والبحر المالح.

[11] أن للماء دور عظيم في تشكيل سطح الأرض بسهولها وجبالها وصحاريها، أو من ناحية الخصوبة والجدب للأرض.

[12] أن من أهم الآيات التي يلفت ا انتباه الناس إليها هي جريان الفلك في البحر بأمر مـ ن ا ، والتأكيد على شكر ا على هذه النعمة العظيمة.

[13] أن نظافة ورقي وحضارة أي مجتمع إنساني لا يكون إلا بالماء.

[14] أن الماء جندي مطيع تعالى، يسلّطه على الأعداء فيهلكهم فيه بطوفان أو غـ رق أو تدمير، ويبعثه ا رحمة للمؤمنين، فيكون لهم نصراً ونجاةً وحياة.

[15] أن للماء دور مهم في تثبيت قلب المجاهد في سبيل ا إذا شعر بشيءٍ من الخوف، كما ويذهب وساوس الشيطان.

فهرس المراجع

1 **القرآن الكريم**.

2 ابن الأثير، مجد الدين أبي السعدات المبارك بن محمد الجرزي: تحقيق، خليل مأمون شيما، دار المعرفة، لبنان، ط1، 2001 .

3 إبراهيم مصطفى وآخرون، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر: محمد علي النجار، **المعجم الوسيط،** مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية، طهران، (د.ت.ن).

4 الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد الراغب: **المفردات في غريب القرآن،** تحقيق وضبط: محمد سيد الكيلاني، طبعة مسجد الأدهمي، القدس.

5 أرناؤوط، محمد السيد: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.**

6 الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة،** المكتبة الإسلامية، عمان، الدار السلفية، الكويت، ط2، 1404 هـ.

7 **صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند،** إشراف زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط1، 1986، ط3، 1988 .

8 **صحيح الجامع، ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزياداته:** جلال الدين السيوطي، يوسف النبهاني، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف،ط1، 1987 .

9 الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** دار إحياء التراث العربي.

10 العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري،** تحقيق: الشيخ ابن باز، دار الفكر، بيروت، 1416 هـ.

11 البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: **معالم التنزيل،** دار الفكر، بيروت، 1422 هـ / 2002م.

12 التبريزي، محمد بن عبد ا الخطيب: **مشكاة المصابيح،** تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985 .

13 الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير،** حققه وكتب هوامشه: محمد بن عبد الرحمن عبد ا ، خرج أحاديثه:علي أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر، بيروت.

14 الجوهري، إسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت،

15 الحلي، محمد علي حسن: **الكون والقرآن،** ط3، 1978م، مطبعة أسعد، بغداد

16 ابن حنبل، أحمد: **مسند الإمام أحمد،** مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم عرقسوسي، عادل مرشد، إبراهيم الزيبق، محمد رضوان العرقسوسي، كامل الخراط، ط1، 1997م، المشرف العام عبد ا بن عبد المحسن التركي، 5. مجلدا.

17 حنفي، أحمد: **التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن**، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د.ت.ن).

18 حوى، سعيد حوى: **الأساس في التفسير،** دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الأردن، ط2، 1989م.

19 أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: **البحر المحيط في التفسير،** تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد التوني، أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

20 الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث،** دار القلم، بيروت، ط1، 1998م.

21 ابن خالدية، أبو عبد ا الحسين بن أحمد: **الحجة في القراءات السبع،** تحقيق: أحمد فريد المزيدي، قدم له: فتحي حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999 .

22 خضر، عبد العليم عبد الرحمن: **الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن،** الدار السعودية للنشر والتوزيع.

23 الخن، مصطفى، مصطفى النجار: علي الشربجي، **الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي،** دار القلم، دمشق، ط2، 1996م.

24 أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: **سنن أبو داود،** شرح وتحقيق: عبد القادر عبد الخير، سيد محمد سيد، سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة.

25 الداودي، شمس الدين، محمد بن علي بن أحمد: **طبقات المفسرين،** تحقيق: علي محمد عمر، مطبعة أميرة، القاهرة، ط2، 1994 .

26 الأدنروي، أحمد بن محمد: **طبقات المفسرين،** تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مؤسسة الرسالة، المدينة، ط1، 1997 .

27 دفضع، بسام: **الكون والإنسان بين العلم والقرآن،** اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط1، 1994م.

28 الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء،** تحقيـق: شـعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1990 .ودار الفكر، بيروت، ط1، 1998 .

29 الرازي، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح،** حققه وخرج أحاديثه: يحيى خالد توفيق، تقديم: عبد الوهاب فايد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1418 هـ/1998م.

30 رضا، محمد رشيد: **تفسير القرآن المشهور بتفسير المنار،** دار المعرفة، بيروت، ط 2

31 الزحيلي، وهبة: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،** دار الفكر المعاصـر، بيروت، 1991 .

32 ـ ـ **الفقه الإسلامي وأدلته،** دار الفكر، ط3، بيروت، 1989م.

33 الزركلي، خير الدين: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجـال والنسـاء فـي العـرب المستعربين والمستشرقين،** دار العلم للملايين، ط6، بيروت، 1984 .

34 الزمخشري، أبو القاسم جاد ا محمود بن عمر: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيـون الأقاويل في وجوه التأويل،** دار الفكر، بيروت،

35 ـ ـ **الفائق في غريب الحديث،** دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996 .

36 الزنداني، عبد المجيد: **رسائل العلم والإيمان ودلائل الإعجاز في السنة والقرآن،** أعدها للنشر: محمد إبراهيم السيد، مكتبة القرآن، القاهرة.

37 ـ ـ **وغداً عصر الإيمان،** أعدها للنشر: محمد إبراهيم السيد، مكتبة القرآن، القاهرة.

38 ـ ـ **العلم طريق الإيمان،** أعدها للنشر: محمد إبراهيم السيد، مكتبة القرآن، القاهرة.

39 ـ ـ **الحل هو الإسلام،** أعدها للنشر: محمد إبراهيم السيد، مكتبة القرآن، القاهرة.

40 أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي: **تفسير أبو السعود،** وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 1999م.

41 السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم: **تفسير السمرقندي: بحر العلوم،** تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1993.

42 أبو سمور، حسن: **المدخل إلى علم الجغرافيا الطبيعية،** علي غانم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، طبعة 1998م.

43 عبد الباقي، محمد فؤاد: **المعجم الوسيط لألفاظ القرآن الكريم،** دار الفكر، بيروت، 1981.

44 شاهين، علي عبد الوهاب: **دراسات في جغرافيا البحار والمحيطات،** جامعة بيروت، 1974.

45 شحاته، عبد ا : **آيات ا في الكون،** نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2002م.

46 شرف، عبد العزيز طريح: **الجغرافيا المناخية والنباتية،** جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، دار المعرفة الجامعية، 2000م.

47 ـ ـ **الجغرافيا الطبيعية،** مؤسسة الثقافة الجامعية، ط3، القاهرة، 1977 .

48 الشريف، عدنان: **من علوم الأرض القرآنية،** دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1994م.

49 ــ **من علم الطب القرآني،** دار العلم للملايين، بيـروت، 1990م، إعـادة طبـع 1994م.

50 الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية فـي علم التفسير،** طبعة جديدة ومصححة ومنمقة مـأخوذة عـن مخطوطـة دار الكتـب المصرية، دار الخير، 1991م.

51 ــ **نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار،** طبعـة منقحـة ومدققة الأحاديث، دار الفكر، بيروت، 1994 .

52 الصابوني، محمد علي: **النبوة والأنبياء،** دار الصابوني، القاهرة، 1390 هـ.

53 طبارة، عفيف عبد الفتاح: **روح القرآن الكريم،** دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1993

54 ــ **مع الأنبياء في القرآن الكريم،** دار العلم للملايين، ط17، بيروت، 1989

55 الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل: **مجمع البيان في تفسـير القـرآن،** وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،

56 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان من تأويل آي القرآن،** هذبه وقربـه وخرج أحاديثه: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،

57 طنطاوي، محمد سيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكـريم،** دار النهضـة، ط1، مصـر، 1998

58 طهماز، عبد الحميد محمود: **من موضوعات القرآن، الإنسان بين التقدير والتكليف في سورة يونس،** دار القلم، الدار الشامية، ط1، دمشق،1989م.

59 ـ **من موضوعات القرآن، سورة النحل،** دار القلم، الدار الشامية، ط1 دمشـق، ، 1994م.

60 ابن عاشور، محمد طاهر: **تفسير التحرير والتنوير،** دار سـحنون للنشـر والتوزيـع، 1417 هـ/1997م.

61 عباس، فضل حسن، وسناء عباس: **إعجاز القرآن الكريم،** دار الفرقان،1991 .

62 ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي: **اللباب في علوم الكتاب،** تحقيق وتعليـق: عـادل احمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998،

63 عبد العزيز، أمير عبد العزيز: **التفسير الشامل،** ط1، دار السلام، 2000م.

64 عبد الجبار، شاكر عبد الجبار: **القرآن يفك لغز الأرض،** مطبعة بغداد، ط1، 1985م.

65 عبد الصمد، محمد كامل: **الإعجاز العلمي في القرآن**، الدار المصـرية اللبنانيـة، ط4، 1997.

66 عميرة، عبد الرحمن: **الكون والحياة بين العلم والدين،** دار الجيل، ط1، 1989م.

67 ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني: **البحر المديد فـي تفسـير القرآن المجيد،** تحقيق: عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002م.

68 أبو العينين، حسن سيد: **كوكب الأرض ظواهره التضاريسـية الكبـرى،** دار النهضـة العربية، ط5، بيروت، 1979 م.

69 غرايبة، سامح، يحيى الفرحان: **المدخل إلى العلوم البيئية،** ط2، دار الشروق، رام ا ، 1996م.

70 الغضبان، منير محمد: **المنهج التربوي للسيرة النبوية،** ط1،الأردن، مكتبـة المنـار، 1991م.

71 الفخر الرازي، فخر الدن محمد بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،** قدم له:خليل محيي الدين الميس، مدير أزهـر لبنـان ومفتي البقاع، طبعة جديدة مزودة بفهارس كاملة، دار الفكر، بيروت، 1993م.

72 فردينانديلين: **البحر،** ترجمة: محمود رضوان، دار محي للنشر.

73 الفندي، جمال الدين: **القرآن والعلم،** دار المعرفة، ط1،بيروت، 1968م.

74 القاسمي، محمد جمال الدين: **تفسير القاسـمي: محاسـن التأويـل،** دار الفكـر، ط2، بيروت، 1978.

75 القرضاوي، يوسف: **تفسير سورة الرعد،** ط2،ـمكتبة وهبة، 1998م.

76 ـ **كيف نتعامل مع القرآن العظـيم،** دار الشـروق، ط1، 1419 هـ ـ/ 1996م، القاهرة، بيروت.

77 القرطبي، أبو عبد ا محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القـرآن،** دار الكتـب العلمية، ط5، بيروت، 1996م.

78 قطب، سيد: **في ظلال القرآن،** دار الشروق، القاهرة، ط4، 2..2م طبعة مزيدة ومنقحة وشرعية.

79 ـ **التصوير الفني في القرآن الكريم،** دار الشروق، ط14، القاهرة، 1993م

80 ابن قيم الجوزية، شمس الدين: أبي عبد ا محمد بن أبي بكر الزرعي، **زاد المعاد في هدي خير العباد،** حققه وخرج أحاديثه: شُعيب الأرناؤوط، عبـد القـادر الأرنـاؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1990.

81 ـ ـ **موسوعة الطب النبوي،** تحقيق: محمـد الأنـور أحمـد البلتـاجي، المكتبـة العصرية، ط1، بيروت، 2000.

82 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: **تفسير ابن كثيـر،** دار الفكـر، ط2، بيـروت، 1401 هـ/1981م.

83 ـ ـ **بداية خلق الكون،** تحقيق: عادل أبو المعاطي، ط1،دار البشر، القاهرة، 1992.

84 الماوردي، أبو الحسن علي محمد بن حبيب: **النكت والعيون،** راجعه وعلق عليه السـيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

85 محمد، نوح أحمد: **تجميع آيات الموضوع لآيات القرآن الكـريم،** مؤسسـة الرسـالة، بيروت.

86 مسعود، جبران: **قاموس الرائد،** دار العلم للملايين، بيروت.

87 المصري، عبد العزيز محمود: **قانون المياه في الإسلام،**_تقديم: عبد ا فكري الخالدي، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، دار الفكر دمشق، 1999/1421.

88 المنذري، زكي الدين عبد العظيم: **مختصر صحيح مسلم،** ط1، دار السلام، 1996

89 **صحيح مسلم بشرح النووي،** الدار الثقافية العربية، ط1، بيروت، 1929.

90 ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب،** دار إحياء التـراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط3، بيروت، 1414 هـ/1994م.

91 الميداني، عبد الرحمن حبنكة: **معارج التفكر ودقائق التدبر،** تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب قواعد التدبر الأمثل لكتاب ا عز وجـل، دار القلم، ط1، دمشق، 2000.

92 النجار، زغلول: **الإعجاز العلمي في السنة النبوية،** دار نهضة، ط1، مصر، 2000.

93 النسفي، عبد ا بن أحمد بن محمود: **تفسير النسفي،** دار إحياء الكتب العلمية، بيروت.

94 النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي: **تفسـير غرائـب القـرآن ورغائب الفرقان،** ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: زكريا عميرات، دار الكتب العلميـة، بيروت، 1996.

95 النيسابوري، أبو الحسن علي بن احمد الواحدي: **الوسيط في تفسير القـرآن المجيـد،** تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت.

96 ابن ناصر، عبد العزيز بن ناصر الجليل: **وقفات تربوية في ضـوء القـرآن الكـريم،** ط2،دار طيبة، 1989م

97 الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: **الوسيط في تفسير القرآن المجيد،** تحقيق وتقـديم: محمد حسن أبو العزم، القاهرة، لجنة إحياء التراث، وزارة الأوقاف.

98 كشك، عبد الحميد: **في رحاب التفسير،** المكتب المصري الحديث،

99 ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيـز،** تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة على نسخة أيا صوفيا، استانبول رقم 119، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1993م.

100 **مؤتمر الإعجاز الطبي في القرآن الكريم،** وتكريم العالم البريطاني الذي أشهر إسلامه، هدية منبر الإسلام، 1985،

101 مجموعة من العلماء الأمريكيين، **ا   يتجلى في عصر العلم،** ترجمة:عبد المجيد سرحان الدمرداش، راجعه وعلق عليه: محمد جمال الدين الفندي، مؤسسة الحلبـي، ط1، ط2، ط3، القاهرة، 1960، 1961، 1968م.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Contract of Importing in Islamic Sharia

Comparative Study

Prepared by

Nemer Saleh Mahmoud Dragmh

Supervisor

Dr. Ali Al Sartawi

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Islamic Law (shari'a) in Usol Figh wa Tashree , Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2004

Water in the Holy Quran
Prepared by
Fatama Mohammad Ayed Ebeedih
Supervisor
Dr. Mohammad Hafez Alshraideh

Abstract

Water in the Holy Quran is an objective research study prepared by Fatima EbedieK

It is meant to discuss the Quranic verses that refer to water, The importance of this topic stems from the importance of water worldwide and the great number of theses verses which speak about water in the Holy Quran,

This study includes an introduction to five chapters

Chapter One: confirms the fact that earth is the real origin and source of water,

Chapter Two: shows some aspects and causes of water fall, Explains and clarifies the verses that speaks about the surface water: the ruiiriing and still besides the shape and image of the underground water.

Illustrates the verses about seas and shows clearly the greatness of Allah the creator through the miraculous scientific signs of the verses speaking about the sea.

Chapter Three: clarifies the verses that speaks about the legal arid rightful rules that are related to water especially for ablution, washing.,. etc.

Chapter four: states the utilities of water in general such as life hood of water the source of all living creatures the earth, mankind and all the other creatures.

Expounds the role of water in nature and stresses the striking and baffling scientific verses that speak about mountains and how water colors them.

Chapter five: illustrates the meaning of “strengthening and consolidation” by water through demonstrating the verses that discuss the cultural strengthening by victory. The stories of Noah and Musa (peace be upon them (l are mentioned as examples.

**This research also discusses the Arab water in general and the Holy Land’s in particular.

**Finally, it clarifies that the next war will be on water. Of research conclusions:

1. Water start forming from ground and it returns back to ground by exact certain cycle.
2. God’s throne was stable on water, it’s a matter that human can’t go through it to explain. So, let’s believe inso as written in Quran.

3. Water is been used by God as a tool of reward and punishment.

